الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

النثر في الأدب الجاهلي

(البحث في الأجناس و خصائصها)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الادب العربي

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين :

- بعلي ليلى
- بلعباس فضيلة

اشراف الاستاذ:

د- قوفي أحمد

أحمد قوفي
أستاذ محاضر "أ"
كلية الأدب العربي والفنون
جامعة مستغانم

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر

الحمد لله حمدا كثيرا مبارك فيه كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا هدانا الله ألف حمد وألف شكر لله أولا وأخيرا ‘ن وفقنا لإتمام هذا العمل.

نتقدم بالشكر الجزيل مع جميل العرفان إلى سيادة الأستاذة المشرفة

التي رافقتنا في هذا العمل راجين من المولى عز وجل إن يوفقها لما يحب ويرضى لأنها لم تبخل علينا بتوجيهاتها ومعلوماتها القيمة التي أفادتنا كثيرا في انجاز بحثنا المتواضع ونشكره على الترحاب صدرها فجزاها الله خيرا

كما نقدم بخالص الشكر والامتنان إلى كل أساتذة الأفاضل الذين مروا علينا أو سارو معنا طيلة مشوارنا الدراسي نفع الله بهم الأمة.

كما نقدم عظيم شكرنا و امتناننا لأهل الكرام الذين ساندون معنويا وماديا ووقفوا بجانبنا منذ بداية مسيرتنا العلمية ولغاية الآن فنسأل الله تعالى إن يجزيهم عنا كل خير ويحفظهم من كل سوء.

ونتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع ولكل من دعانا في ظهر الغيب.

شكرا لكل من وجهنا لكل من سعى في تعليمنا حرفا ينفعنا .

شكرا لكل الوجوه والأسماء التي عرفناها كأصدقاء جدد و زملائنا وزميلاتنا جميعا أصحاب التخصص إلى جميع من نساهم القلم ولم ينساها القلب إلى كل هؤلاء الشكر.

ليلى / فضيلة

الإهداء

الحمد لله الذي أنار لي طريقي وكان لي خير عون إلى اغلي ما املك في هذه الدنيا إلى من كان سبب لوجودي على هذه الأرض إلى من وضعت الجنة تحت إقدامها إلى التي انحنى لها بكل إجلال وتقدير إلى التي أرجو قد أكون نلت رضاي أمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى من أدين له بحياتي إلى من سندني وكان شمعه تحترق إلى من ا وكن له مشاعر التقدير والاحترام والعرفان أبي أطال الله في عمره اسأل الله أن يجعله تاجا فوق رأسي إلى كل من دعمني وشجعني في حياتي إعطاني دفعه نحو الأمام.

إلى كل إفراد عائلتي واخص بالذكر أخي والى كل أصدقائي بدون استثناء إلى كل الأساتذة الذي قدموا لنا يد المساعدة وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما فيه خير لنا ولي وطننا انه نعم المولى ونعم النصير.

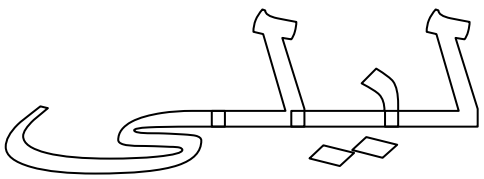

الإهداء

بداية أحمد الله على توقيفه لي أهدي تخرجي إلى من كلماته كانت تحوم أهتدي بها لوالدي العزيز الذي كان له الفضل في وصولي إلى هذه المرحلة و إلى من كانت دعواتها تسير طريقي من جعل الله الجنة تحت قدميها أمي الغالية و إلى كل إخوتي و أخواتي الذين صبروا الصبر الجميل معي .

كلماتي البسيطة لن تفي حق كل من ساعدني لكنها دليل عرفان مني لكم
والدي الكريمين كلمات الدنيا عاجزة عن وصف مدى امتناني لكما عسى أن يبلغني ربي وأتمكن عن تعويض تعبكما ورد جميلكما
وأشكر أخواتي بالأخص أختي وأخي سندي وقوتي فضلكما لن أنساه ما حييت وأخوتي الصغار أيضا
وأشكر زملائي وصديقتي اللذان شجعاني و قاموا بدعمي
إلى كل من أحببتهم وصادقتهم طيلة السنوات الخمس شكرا لكم جميعا أتمنى لكم العافية الدائمة

فضيلة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله ربي العالمين ،والصلاة والسلام على خير خلق الله. المبعوث بالرحمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وازكي التسليم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

بعد النثر من أهم ألوان الأدب العربي و أكثرها انتشارا منذ القدم إذ أن احتياجات العصر الجاهلي الشعر وأغراضه جعلت النثر يكون في المرتبة الثانية في الظهور ،والاهتمام من قبل الأدباء الجاهلين إلا أن أنواع النثر في العصر الجاهلي تعتبر من أبرز الفنون النثرية في آداب العصور المختلفة على رأسها الخطب و الوصايا والأمثال وغيرها، وكانت له أهمية كبيرة في العصر الجاهلي الذي هو من أقدم العصور وكان ذلك قبل ظهور عصر صدر الإسلام وتم إطلاق اسم العصر الجاهلي على ما يقال عصر الإسلام في زمن الضلال العرب وعبادتهم الأوثان فقد قيل إلا هذا اللفظ حدث في الإسلام للزمن الذي سبق البعثة النبوية ويطلق في اصطلاح أصحاب التاريخ اسم الجاهلي على من لم يدرك الإسلام.

تميز النصر في العصر الجاهلي بعده من الخصائص والسمات الفنية والموضوعية جعلته يتميز من الفنون الشعر في العصر الجاهلي وأهم هذه السمات والخصائص التالية رقي المعاني والأفكار وقوه الألفاظ وجراءتها فقد عرف الجاهليون بالبلاغة والفصاحة وشهد القرآن بذلك حيث أنزل الله لكي يكون معجزة بيانية من الجنس ما يتمتع به العرب وحشيه الألفاظ وقسوتها فالألفاظ مستوحاة من البيئة الجاهلية القاسية التي كان يعيشها الأدباء حينذاك واللغة واقعية تحاكي البيئة وكذلك تطبع بطابعها.
والعناية بالمحسنات البديعية ولا سيما السجع لما يضيفه من إيقاع موسيقي و يمنحه الجمالية التي تجعله موازي للشعر من حيث الفنية.
النثر الجاهلي أنواع شكلت ذخيرة مهمة تشهد لإبداع أدباء العصر الجاهلي التميز اللغوي والمضمون وتعكس الحضور الثقافي الذي بقي طريق يقتفي أثرها الأدباء بالعصر اللاحقة ومن خلال هذا نطرح المشكل ما تعريف النثر الجاهلي وما هي أنواعه وذكر خطبة من خطب الأدباء الجاهليين وتحليلها.

وقد يظهر موضوعنا هذا بعد مقدمه للموضوع في مدخل تناولنا فيه النثر لغة واصطلاحا يليه الفصل الأول الذي عنون بأنواع النثر في العصر الجاهلي وهي عديدة منها الوصايا الخطاب والحكم والأمثال والسجع الكهان وقد تطرقنا إلى تعريف كل واحدة منهم أما الفصل الثاني فقد كان عبارة عن دراسة خطبه إلا وهي مستويات التحليل لخطبة سوق عكاظ لقس بن ساعدة الإيادي.
وأخيرا تم انتهاء البحث بخاتمة خلصنا فيها إلى أهم النتائج وقد اتبعنا المنهج الوصفي الذي يتماشى مع هذا البحث.
وقد تعددت مشارب البحث التي استقينا منها مادتها العلمية فنذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي:

لسان العرب ابن المنظور
فن الخطابة إيليا الحاوي
محمود رزق الأدب العربي و تاريخه
طه حسين في الأدب الجاهلي ، الأدب الجاهلي
شوقي ضيف الأمثال في العصر الجاهلي

لكل بحث علمي صعوبات تعترض الباحث فقد واجهنا بدورنا غياب بعض المصادر والمراجع المعتمدة في مجال النثر الجاهلي الذي لاحظنا اعتماد العديد من المؤلفين في هذا العلم عليه و عند محاولتنا الحصول عليه لم نفلح إضافة إلى هذا ندرة الدراسات العلمية حول هذا الموضوع.
وأيضا في ضيق الوقت بالنسبة للدراسة للفصل الثاني إذ تطلب دراسة استطلاعية واسعة لكننا بالاستعانة بالله والأستاذ المشرف حفظه الله استطعنا التغلب على عدة صعوبات والحمد لله أخرا.
وتتقدم بجزيل الشكر وعظيم الثناء والعرفان الجميل أستاذنا المشرف احمد كوفي الذي علمنا سبل البحث ولم يبخل علينا من نصائح قيمة فله منا جزيل الشكر والثناء
وفي الأخير نسأل الله التوفيق وان يسدد خطانا ويوفقنا لما فيه صلاح حالنا .

المدخل

المدخل:

اتفقت التعارف اللغوية لكلمه النثر في معاجم اللغوية فقد عرفه ابن المنظور في لسان العرب بأنه نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجور واللوز والسكر وكذلك نثر الحب إذا ابذر وهو النثار وقد نثره ينثره ينثره نثرا ونثره فانتثر و تناثر[1] وجاء في مقاييس اللغة النون والتاء والراء أصل صحيح يدل على إلقاء الشيء متفرق ، الدراهم وغيرها وخطرت الشاه طرحت من انفها الأذى ويسمى الأنف النثرة من هذا لأنه ينثرها ما فيه من أذى"[2]

إما في قاموس المحيط فقد عرفه الفيروز بادي بأنه نثر نثر الشيء ينثره وينثره نثرا ونثارا، رماهم متفرقا كنثره و نتثروا و تناثرو النثارة بالضم و النثر بالتحريك، ما تناثر منه أو لا تخص بما ينثر من المائدة فيؤكل للثواب و تناثرو: مرضوا فماتوا و النثور: كثير الولد.[3]

وفي مختار الصحاح كملت معنى كلمه النثر نثره من باب نصرا (فانثره) واسم النثار برضي ما تناثر من الشيء ودرا منثرا شدده للكثرة (الانتثار) و(الاستنثار) بمعنى هو ما نثر ما في الأنف بالنفس[4] وقد ذكر الزمخشري في كتابه أساس البلاغة تعريفها لغويا لكلمه النثر جاء فيه النثر اللؤلؤ وغيره، وقد انتثر وتناثر، و درّ منثورّ و منثّر و نثارته، وهو القتان المتناثر حوله وشهدت نيثار

فلان بالكسر، و عنا في نثار فلان اليوم وهو اسم للفعل كالنثر وما أصبت من نثر فلان شيئا وهو اسم النثر من السكري ونحوه كالنشر بمعنى المنشور[5] يتضح من خلال هذه التعريفات اللغوية إن كلمه نثر تدور كلها حول معنى واحد حيث حملت معنى الشيء المتفرق الذي يرمى به من غير انتظام ونثر المائدة ونثر الأنف ونثر اللؤلؤ

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المعري جمال الدين أبو الفضل لسان العرب مادة (نثر) دار مصادر بيروت لبنان (د . ط) (3 . ت) ص191

[2] أبو الحسن احمد بن فارس بن زكرياء مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد الهارون دار الجبل بيروت لبنان (د.ط) 1772 ص389

[3] مجد الدين بن يعقوب الفيروزايادي ، القاموس المحيط نح : محمد نجين العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ط.ع 2005 ص 479

[4] محمد بن أبي بكر عبيد القادر الرازي ، مختار الصحاح السكة الجديدة معر ط 1 ،1329هـ ص269

[5] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، جزء 2 ط1 1998 ص 248

ب – اصطلاحا :

تحمل كلمه نثر معنى الكلام الكثير المتفرق تشييعها له ينثر المائدة و نثر الولد وتدخله هذه اللقطة بيئة الثقافة الأدبية اي على إنها تقتصر على الكلام الأدبي الذي يسمو عدا الكلام الذي يسمو هذا الكلام العادي تعبير ومعنى يستعملها النقاد والأدباء بهذا المفهوم ذلك الكلام الفني غير المنظوم الذي يقابل الكلام المنظوم[1] .

وقد تباينت الآراء واختلفت حول تسميه النثر قد فقد ذهب البعض إلى تسميته بالمنشور والبعض الأخر بالكلام في حين ذهب بعضهم إلى تسميته الكتابة[2] وهي مصطلحات تبدو وإنها مختلفة من حيث مدلولاتها وما يجب الانتباه إليه إن المنظوم يختلف عن المنشور باعتبار أن الأدب يحمل الجنسين أدبيين الشعر والنثر يختلفان عن بعضهما.

حيث يقول ابن خلدون ت 808ه إنا الأدب وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور هذا أساليب العرب ومناحيهم.[3]

نظره ابن خلدون إلى الأدب نظره ثاقبة اشترت عدا الأديب ألجوده في المنظوم والمنثور متبعا في ذلك أساليب العرب ومناهجهم ما يؤدي بنا إلى التمييز بين المنظومة على اعتبار أن لكل منهما مميزاته التي تختص به فقد ذهب ابن وهب (110ه) إلى القول أن سائر العبارة في لسان العرب أما أن يكون منظور أو منثورا والمنظوم هو الشعر والمنثور هو الكلام[4]

حيث قسم ابن وهب لسان العرب إلى منظوم ومنصور تمثل المنظور في الشعر والمنظور في الكلام وقد أشار ابن وهب في موضع أخر إلى تقسيمات ضمنه أربعه أنواع مطريه حيث قال فإما المنصور ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه[5]

---

[1] عثمان موافي في نظرية الأدب : من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم و الحديث ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر 1992، ص17

[2] بأوديسة بولنوار النقد الأدبي في المغرب العربي خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين الروافد و الاتجاهات، إشراف كمال عجاكي رسالة دكتوراه في الأدب المغربي و الأندلسي كلية اللغة و الأدب عربي و الفنون ، جامعة باتنة 2017 ، 2018 ص188

[3] أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهري المالكي ، الصبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و من عام هم من ذوي السلطان الأكبر تاريخ ابن خلدون تحقيق :صعيب ألكرمي بين الأفكار الدولية الرياض السعودية (ط.د) ،(د.ت) ص310

[4] أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب البرهان في وجده البيان تحقيق : حقيقي محمد نترف ، مكتبة الشباب ،القاهرة ، مصر ظ1 1969 ص121

[5] المصدر نفسه ص150

يتضح من خلال هذا القول إن ابن وهب قد اعتبر إن المنثور يضم أنواعا نثريه تمثلت في الخطابة رسالة احتجاج حديث واعتبر إن لكل واحد من هاته الأنواع لها مقامها وموقعها الذي يستعمل فيه.

أما بالنسبة لمن ربط تسميته النثر بالكلام فان هذه التسمية اتساع لدلالاتها لتسلسل عند بعض النقاد القدماء معنا النثر والنثور معا وهما يظهران في قول ابن الأصيل تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى الآلات كثيرة.[1]

ما يظهر من قول ابن الأثير(ت 637ه) انه قسم الكلام إلى منظوم ومنثور يحتاج تأليفها إلى مجموعة من العلوم والمعارف وهو ما اصطلح عليه قديما بالآلات

وقد تحدث أبو حلال العسكري(ت 395ه) عن الشعر والنثر وتصنيف الأجناس الكلام فقال الأجناس الكلام المنظوم ثلاثة رسائل والخطابة والشعر وجمعها تحتاج إلى حسن التأليف وجوده التركيب[2]

فقد اعتبر أبو هلال العسكري أن أجناس الكلام تضم الرسائل والخطب والشعر واشترط فيها جمال المعنى والجودة في التركيب وقد أشار أبو هلال العسكري في هذا التعريف إلى أن الخطاب والرسائل وهما جنسان أدبيان يعمهما النثر ويمكن إرجاع ذلك إن الخطاب والرسائل قد عرف انتشارا واسعا في القديم أكثر من الأجناس المصرية الأخرى وقد أكد ابن خلدون انك الكلام يشمل في الشعر والنثر فقال واعلم أنني لسان العرب وكلامهم عدا فنيين في الشعر والمنظور وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تتكون أوزان كلها على راوي واحد وهو القافية وأخي النصر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنيين يشتمل عدا فنون وهذا هب في الكلام.[3]

ما يلاحظ في هذا التعريف إن ابن خلدون قد قام بتصنيف كلام العرب إلى صنفين الصنف الأول المتمثل في الشعر وهو الذي يعتمد على الوزن والقافية أما النثر فانه لا يحتاج إليهما ما يعني أنه يجب التمييز بين الشعر والنثر على اعتبار أن لكل منهما مميزاته التي تختص بها فلكل فن من الفنون أصول ومناهج يعتمد عليها، وتطرق

---

[1] ضياء الدين بن الأسير المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر أحمد الجوفي و اليدوي طبانة دار نهضة المعرفة (د.ت)ص38 (القاهرة معرفة) (د.ط)

[2] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن معمل العسكري الضاعتين على نح : محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم 1952ص161

[3] أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي الجر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عام عامر هو من ذوي السلطان الذكر تاريخ ابن خلدون نص ،127

الجرجاني (366هـ) إلى الحديث الشعر والنثر في سياق حديثه عن الكلام فقال كذلك الكلام منثورة ومنظومة ومجمله ومفعله تجد منه المحكم الوثيق والجزل القوي والمصنع المحكم والمتفق الموشح [1].
حيث قسم الجرجاني الكلام إلى منظوم ومنثور ليعرض بعدها أوصاف الكلام وأنواعه وقد تراه نفس منوال الجرجاني مسكويه كذلك الذي قسمه هو الآخر الكلام إلى منظوم ومنثور فقال إن النظم والنثر نوعان قسمان تحت الكلام والكلام جنس لهما اعتبر مسكريه إن النظم والنثر نوعان من الكلام وهو يفهمها كما تم إضافة الكتابة لتشمل مفهوم النثر وأصبح غير من النقاد العرب القدامى إذا استعملوا مصطلح الكتابة فهم يقصدون بها النثر وهو ما يظهر في عناوين بعض الكتب القديمة من بينها كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير وكتاب أبو هلال العسكري الذي عنوانه (الصناعتين الكتابة والشعر) الذي قال فيه متحدثا عن الكتابة فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابك ..... مكاتبة كل فريق منهم عمدا مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق.[2]

حيث ألزم أبو هلال العسكري على الكاتب مراعاة الأحوال الاجتماعية والقدرات العقلية الخطباء والأدباء والشعراء

ومن خلال هذه الآراء يتبين لنا أن النصر قد تعددت معاينة ومصطلحا ته يهدف من خلال لغته أدبية أن يحقق التأثير والتواصل بين الكاتب والقارئ لكنه يبقى في الأخير فن قولي يقابل الشعر مقابلته تضاد لا تناقض في كل منهما صفاته الخاصة به وهو ما سيقودنا إلى دراسة أجناس النثر قد يتبادر إلى الأذهان إن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حطب و أزمة فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية وهي الحقبة التي تكاملت اللغة العربية منذ أوائلها خصائصها والتي جاءنا عنها الشاعر الجاهلي ولاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ قيس بن حجر ومهلهل بن ربيعه إذا استظهرنا الشعر وجدنا له إن جاء الله للإسلام 50 ومائه عام وإذا استظهرنا لغاية الاستظهار في الشعر العربي مجهول ونفس

[1] ألقاه في علي في عبد العزيز الجرجاني الوساطة بن المتنبي وخصومه محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي (د.ت) (ص 412 مطبعه عيسى الباري الحلبي وشركاه (د.ط)
[2] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الصناعتين ص 154

تاريخ العرب الشماليين يشبه الغموض منذ قضاء الرومان على دولتهم في البتراء وتدمر إلا بعض أخبار الفارسية وبيزنطيه قليله وبعض نقوش تمر عليها الغساسنه في الشام و منادره في الحيرة ومملكه كنده في شمال نجد غير إن معلوماتنا عن هذه الإمارات فما وراء القرن السادس الميلادي محدودة
وهيا إنما تتضح في العصر[1]

الجاهلي الذين تتحدث عنه إذا حمل إلينا العرب كثيرا عن الأخبار تلك الإمارات وأمرائها الذين كانوا يستولون حينها على الحكم كما حملوا إلينا كثيرا من الأخبار عن مدن الحجاز وخاصة مكة بين الكعبة المقدمة وكذلك عن القبائل وما كان بينهما من أيام وحروب .
من اجل هذا كله نقف بالعصر الجاهلي عن هذه الفترة المحددة أي عندما 150 عاما قبل الإسلام وما وراء ذلك الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية نشوء الخط ألعزي وتشكله في غير هذا الموضوع فذلك العصر المتميز الواضح في تاريخ العرب الشماليين هو العصر الجاهلي.[2]
وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم وحقيقة وإنما هي مشتقه من الجهل بمعنى السفه والغضب والترف فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة الله عز وجل وما يطوي فيها من سلوك خلق الكريم ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب ففي سورة البقرة قالوا أتتخذنا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وفي سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد يمر رجل بأمه {إنك امرؤ فيك جاهلية} وفي ملعقة عمر وابن كلثوم التغلي:

ألا يجعلن أحد علينا ** فنجهل فوق جهل الجاهلية

[1] الحيوان جاحظ طبعة الحلبي الأولى ص 74
[2] صالح أحمد العلي تاريخ العرب الطبعة الأولى ص 68

وواضح في هذه الغوص جميعا إن كلمة استخدمت من قديم للدلالة على الطيش والسفه والحمق فقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق وقوامها الحمية واخذ بالثار واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موجات كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات أبنائها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهو عبادها والعبيد وهم رقيقه المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة الموالي وهم عشاقها ويدخل فيهم الخلفاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائمهم وخفاياهم وكانوا يعلنون هذا الخل على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم وقد ستبجر و فتبحره وبذلك يصبح له الحق التوتر في القبيلة الجديدة كما يصبح من واجب الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها ومن هؤلاء الخلفاء طائفة المماليك المشهورة وكانوا يمضون على وجوههم في الصحراء ويتخذون النصب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم هذا نحو ما نعرف عن تأبط شرا سبك بن سلكا وشعره عداء منهم من كان يظل في قبيلته للفعل فيه مثل عروة بن الورد وكان عريشا صيادا وأثر عنه انه كان يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عسبس ومع والديها و مربياها متخذا لهم خطائر يأوون فيها قاسما بينه وبينهم مها ذمة[1]

وهذا الخلع إنما كان يحدث في حالات شاذة أما بعد ذلك فان أفراد القبيلة كانوا متضامنين اشد ما يكون التضامن وهو تضامن يحكي معه حرصهم على الشرف فقد تكونت حوله مجموعه من خلال الكريمة لعل خير كلمه تجمعها هي كلمه المروءة التي تضع مناقبهم هن مثل الحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعه الصدر والأعراب عن تابع اللئيم والغض عن الحوراء ولم تكن خصلة عندها تفوق خصلة الكرم وقد بعثها فيهم حياه الصحراء القاسية وما فيها من ازدان والمحال فكان الغني بينهم يفعل على الفقير وكثيرا ما كان يذبح ابنه في السنين القحط يضخمها عشيرته كما يذبحها قريرو العين لفي فانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليه وهن استعلموا إنهم كانوا يوقدون النار ليلا عد على كتبان والجبال ليعتدي إليهم التائهون والغالون في الفيضان فإذا وفدوا عليهم امنوا هو حتى لو كانوا من عدوهم ويدور في شعرهم

[1] شوقي ضيف العصر الجاهلي دار المعارف الطبعة 24 صفحة 38

الفخر بهذه النيران وان كلابهم لا تنبح ضيوفهم لما تعودت من كثره المفادي والرائحين وكانوا لا يقدرون شيئا كما يقدرون الوفاء فإذا وعد احدهم وعدا الوفاء به وارفات معه قبيلة بما وعدت ومن ثم أشاهد بحمايته الجار لأنه التجار به وأعطوه عهدا أن ينحروه وجعلهم ذلك يعظمون الأخلاق فلا ينقذوها مهما قاسو بسببها من حروب وبلغ من أعدادهم بهذه الحملة أن كانوا يرفعون لمن يقدر منهم اللواء في مجامعه أسواقهم[1]

لم يكن العرب يعيشون في الجاهلية معيشة واحده فقد عرفت الزراعة جنوب والشرق والواحات الحجاز مثل يثرب و وغير وفي الطائف وادي القرى وعاش أهل مكة على التجارة إذ كانوا يحملون عروضها وسلعها بين حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالا وجنوبا في طرقا في طريقين معروفين الطريق إلى الخليج الفارسي من شرق مكة وكان يمر بمدينه الرياض حاليا وطريق كانوا يذهبون فيها شمالا إلى خير ثم يخترقون الصحراء في وادي الراحة ويظن انه كان مجرى نهر في عصور ما قبل التاريخ ومنه يهبطون إلى البحيرة وكان بصحبهم في هذه القوافل الإدلاء يحمونهم الظلال في مجاهل الصحراء وهن أشهرهم فوارت ابن حيان كما كان يصبحهم خضراء يحمون قوافلهم من الذباب البادية وقراصنتها ومماليكها الذين تعودوا على نهب وسلب وقد يبلغون 300 عددا ومن أهم القبائل التي كانوا يخشون ذؤبانها قبيلة هديل و من الجنوب من اليمن وحوض المحيط الهندي وإفريقيا الشرقية اللبان والطيب والبخور والجلود وثياب عدن النفسية وتوابل الهند ورقيق إفريقيه والصمغ والعاج كما كانوا ينقلون من الطائف الزبيبة ومن المناجع بن سليم الذهب كل ذلك كانوا ينقلونه إلى حوض البحر المتوسط ويعودون محملين بالأسلحة والقمح والزيوت.[2]

و الخمر والثياب القطنية والكتانية والحريرية فمكة في الجاهلية كانت هدنة تجاريه عظيمه وكان بها الكعبة اكبر معابد العرب حين إذن

[1] جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام طبعة 04 ص117
[2] كتاب البلدان لابن الفقيه (طبعة أوروبا) ص18

فكانوا يحجون إلى أصنامهم وأوثانهم فيها وتقيم لهم قريش الأعياد والأسواق كسوق عكاظ وكانت اكبر أسواقهم وكانوا يقيمونها في نجد بالقرب من عرفات في منتصف القعدة إلى نهايته ولم تكن سوق تجاره فحسب بل كانت سوقا للخطابة والشعر أيضا وقد استمع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قسم بن ساعده وهو يخطب في الناس فقالوا انه كانت تقام للنابغة فيها قبة ويعدو عليه الشعراء يعرفون شعرهم ثمن أشاد به طار نسبه وكثيرا ما كانوا يقعدون أسرع فيها وتدفع الديانات وأيضا كثيرا ماكانت تقوم المفاخرات والمنافرات وعرف غير واحد بان الناس كانوا يتحكمون إليه فيها ويذكر في هذا العدد أناس من تميم مثل الأقرع بن حابس ومعنى ذلك لعله انك عكاظ كانت أشبه مؤتمر كبير للعرب فيه يجتمعون وينظرون في خصومهم وما الزعماء هم وكل ما يتصل بهم من شؤون وهن أسواق قريش أيضا ذو المجاز بالقرب من عكاظ وكان تظل هذه السوق منعقدة إلى نهاية الحج[1]

[1] شوقي ضيف العصر الجاهلي الطبقة الرابع والعشرونص50

الفصل الأول :

أنواع النثر في الأدب الجاهلي [الأجناس]

الخطابة:

لغة: الخطبة لغة مأخوذة من الخطب وهو الشأن أو الأمر صغار أو عظم... والخطبة مصدر الخطيب أو خطب الخاطب على المنبر و إختطب يخطب خطابة.

اصطلاحا: هي لون من ألوان النصر عمادها اللسان وتعرف الخطابة بأنها: فن مخاطبة الجمهور وإقناع واستمالة فلا بد من مشافهة وإلا كانت كتابه أو شال مدورا ولابد من الجمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثا أو وصيه ولا بد من إقناع وذلك بان يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيده بالبراهين أسس الخطابة إذا مشافهة والجمهور وإقناع واستمالة.[1]

لقد انتشرت الخطابة في العصر الجاهلي وصار لها شان عظيم وذلك لأنهم يستخدموها في التحكيم في الخصومات واصطلاح ذات البين وفي المنافرات والمناظرات في الأحساب والأنساب وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة كالزواج والأسحار وقد اتخذوا من الأسواق والمحاسن العظام ومن المضارب خيامهم ووفاتهم و وفادتهم على الملوك والأمراء الميادين لإظهار براعتهم وثيقتهم في المقال ونسيج الكلام وقد اتسعت في هذا العصر وظيفة الخطاب إذا كان يفاخر على قومه ومن أشهر خطباء العصر الجاهلي قس بن ساعدة الإيادي أكثم بن صيفي و سهيل بن عمرو وقيس بن عاصم[2]

أما أسلوب الخطابة في الجاهلية وكان رائع اللفظ خلاب العبارة واضحا المنهج قصير السجع كثير الأمثال وكانت خطبهم معروفه بالطول والقصر كما كان خطباء الجاهلية ينتقون الألفاظ يتخيرون المعاني فجاءت ألفاظهم غاية في الرقة والعذوبة والمعاني رائعة مألوفة ليس بين أيدينا نصوص وثيقة من الخطابة الجاهلية لما قلنا من بعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه وعصور تدوينها ولذلك كان ينبغي إن نحرص مما رواه منها صاحب العمل وصاحب العقد الفريد فأكثره أو جمهور منحول. على أن اتهامنا لنصوصها لا ينتهي بنا إلى إنكارها على الجاهلين بل انه لا ينتهي بنا إلى إنكار ازدهارها

[1] ابن منظور لسان العرب مادة (خطب) ص134-135

[2] إسماعيل علي محمد فن الخطابة مهارات الخطيب الطبعة الخامسة 1438هـ، 2016م دار النشر القاهرة. مصر. ص46

كما حاول بعض الباحثين فقد كان كل شيء عندهم يؤهل لهذا الازدهار إذ لم يكن ينقصهم شيء من الحرية و كثرت المنازعات والخصومات بينهم والدعوة إلى الحرب مرة والى السلم مرة أخرى وقد اتخذوا من مجالسهم في مضارب خطاياهم ومن أسواقهم ومن ساحات الأمراء وفادتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال وحوكي الكلام وإسعافهم في ذلك ملكاتهم البيانية وما فطروا عليه من خلابة ولسان وبيان وفصاحة وحضور بديعة حتى ليقول الجاحظ وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليس هناك معاناة ولا مكائد ولا أجاله ولا استعانة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب إلى العمود الذي عليه يقصد فتأتيه المعاني وكان الكلام الجيد عندهم اظهر أكثر وهم عليه أقدام وله اقهر وكل واحد في نفسه انطق ومكانه من البيع ارفع وخطبائهم للكلام أوجد الكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب.[1]

وكل ذلك العمل على ازدهار الخطابة في الجاهلية وأن تتناول أغراض مختلفة فقد استخدموها في منفراتهم ومفاخراتهم بالاحتساب والأنساب المآثر والمناقب كمنافرة علقمة ابن علان وعامر بن الطفيلي إلى هرم بن قطبه الفرازي و منافرة القعقاع بن معبد التميمي وخالد بن مالك النهشلي إلى ربيعه بن حر واستخدموها في الحظ على القتال وبعث الموجودة في نفوس قبائلهم ودفعها إلى نيران الحرب كأنهم الفراش يقول أبو زبيد الطائي

وخطيب إذا تمعرت الأو ** جه يوما في مأقط المشهود

ويقول عامر ألمحاربي في مديح قومه :[2]

وهم يدعمون القول في كل موطن ** بكل خطيب يترك القوم قاطما

يقول فلا يعي الكـــلام خطيبـــنا ** إذا الكرب انسي الجبس أن يتكلم

وكما كان يدعو خطباءهم إلى الحرب وتفكي الدماء كم يدعون إلى الصلح وإصلاح ذات البين هو أن تضع الحرب أو زارها يقول ربيع بن مقروم الصبي

ومتى تقوم عندنا اجتماع عشيرة ** خطباءنا بين العشية يفصل

[1] احمد محمد الجوفي فن الخطابة دار النهضة مصدر الطباعة والنشر والتوزيع(د. ط) 2002ص5

[2] محمد رزق جاهد الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي دار العلم والإيمان للنشر،ط.1.2010 ص216

وكانوا كثيرا ما يخطبون في وفاتهم على الأمراء إذا يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من المناذرة، قيحبية ، متحدثا بلساني قومه وفي السيرة النبوية ما يصدر جانبا من هذه الوفود وإذا قد كثير منها على الرسول منذ السنة الثامنة وكان يقوم خطيب الوفد يديه متحدثا ويرد عليه خطيب الرسول على نحوي ما هو معروف وقد تميم خطبه عطارد ابن حاجب بن و زرارة بين يديه وكان ذلك سنه شائعة بينهم وفي الجاهلية حين يفدون على الأمراء أو على من له رياسة وسيادة ويقول أو ابن حجر في رثاء فضاء ابن كاده.[1]

أبا دليجة من يكفي العشيــرة إذ ** أمسوا من الخطب في نار وبليال

أم من يكون خطيب القوم إذا حفلوا ** لدى الملوك ذوي الأيدي الأفضال

وقد ينيرون في الأسواق العظام ينصحون قومهم و يرشدونهم على نحو ما هو معروف عن قصه خطبته بسوق عكاظ وربما نصح الخطيب عشيرته وقومه الأقربين كبعض ما يرى عن عامر بن الضرب وكان من عاداتهم في الزواج وخاصة زواج أشرفهم وأبنائهم أن يتقدم عن الخاطب سيد من عشيرته يخطب باسمه الفتاه التي يريد الاقتران بها وخطبه أبي طالب السيدة خديجة للرسول صلى الله عليه وسلم مشهورة ويقول الجاحظ كانت خطبه قريش في الجاهلية يعني خطبه النساء باسمك اللهم لك ما سالت ولنا ما أعطيت ويقول كان من عاده العرب من هذه الخطبة أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب ويتحدث عن خطاباتهم عامه فيقول اعلم أن جميع خطاب العرب من آهل المد و والوبر والحذر على غريبين منها الطوال ما يكون مستويا في الجودة ومتشكلا في استواء السرعة ومنها أدوات الفقر الحسان ولنثق الجياد فوجدنا عدد القفار أكثر ورواه العلم إلى حفظها أسرع.[2]

وليس كل ما يدل على ازدهار الخطابة في الجاهلية رأيناه أنفا من تعدد أنواعها و خوضها في أغراض مختلفة من المصاهرة أو أفادت على الأمراء أو النصح والإرشاد أو الدعوة إلى الحرب أو الكف عن القتال أو المنافرات فقد استقر في نفوس العباسيين وعلى رأسهم الجاحظ أنهم كانوا يكثرون من الخطب وان قبيلة من القبائل بالعشيرة من العشائر لم تكن تخلو من الخطيب فهو يسرق في البيان والتبيين إثباتا طويلة بأسماء هم ومواقفهم موردا من حين إلى حين فقرا من أقوالهم:

ولعل من الخير أنت أيضا أطرافا من ذلك حتى تتضح لنا من هذه النهضة الخطابية عندهم من بعض وجوهنا وخاصة أننا لا نطمئن إلى

[1] المرجع نفسه ص 218

[2] طه حسين في الأدب الجاهلي ص 274

ما يروي لهم في كتب الأدب والتاريخ من خطب ومن ثم سنعتمد عمدا إلى صرت أسماء خطبائهم من جهة وإنشاد بعض الأشعار التي تصور براعتهم في هذا اللون من ألوان نثرهم لما هو معروف من الشعر يمكن أن ينقل عن طريق الرواية آمادا من الأزمة بفضل ما فيه من موسيقى تحفظه من الاضطراب على السنة الرواد وتحول بينه وبين دخول خل الواسع في الصورة الأصلية.[1]

وإذا رجعنا استعرض أسماء خطبائهم ووجدنا البيان والتبيين يموت بهم من مثل قيس بن شساس في يثرب وابنه ثابت وهو خطيب النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أنت؟ فقالت ابنه الخطيب النقيب الشهيد سعد ابن الربيع أما مكة فمن قد ما خطبائهم هاشم وحرب بن ألهية ويظهر أنه كان فيها خطباء كثيرون وربما كان هما هيئه بكثرتهم وجود دار الندوة بها وهي تشبه مجلس الشيوخ مضطرا كانوا يدفعون فيها ويخطبون ويتحاورون وممن عرف فيها بالخطابة عتبة ابن ربيعة وسهيل بن عمر للرسول صلى الله عليه وسلم«يا رسول

الله انزع ثنيته السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال رسول صلى الله عليه وسلم لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبيا دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده»

وممن اشتهروا بالخطابة في القبائل عامر بن الضرب في عدوان وربيعة بن حداد في أسد وانطلت ابن ضرار في ضبطته وقد طالع عمره حتى أدرك يوم الجمل وعمرو بن كلثوم في ثعلب وهانئ ابن قبيعة في شيبان وهو خطيب يوم ذي قار وزهير في كلب وقفاعه وابن عمار في طي وهو خطيب مد حج كلها ومن خطبائهم لبيد بن ربيعة العامري ومن قوله

واخلف قسا ليننني ولو أنني ** واعبى على لقمان حكم التدبر[2]

وهذا إن ابن شيخ الذي قال فيه الرسول صلوات الله عليه رب خطيب من عبس وخويلد بن عمرو والشقراء ابن جابر العطف نايان ومن خطباء أطفال أيضا قيس بن خارجة بن سنان الذي خطب في حرب داحس وخبراء يوما إلى الليل وهرم بن قطبه الغزاوي الذي احتكم إليه علقم ابن علاثة وعامر بن الطفيلي، فقال لهما **كما مرنا-:**

[1]الجاحظ البيان والتبيين الطبعة الثالثة ص 68

[2]نفس المصدر ص 84

«إنها كركبتي البعيد الأدرم (الفحل) تقصان على الأرض معا

ومن خطباء تميم المع وهين أكثم بن صيفي ودمر بن ضمرت انه لما دخل على النعمان بن المنذر زار عليه الذي رأى من دمامته وقصره وقلته فقال لنعمان **« تسمع بالمعيدي بان تراه» فقال: أبينا اللعن!« إن الرجال لا توكلوا بالفرقان ولا توزن بالميزان وليس يمسوك يسقى بها وإنما المرء بأصغر به يقلبه ولسانه بجنان وان قال قال ببيان»** وهن خطباء تميم أيضا عطارد بن حاجب بن زرارة وهو خطيب وفديها كما مر بنا بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم عمر عمرو بن الاهثم لمنقري ولم يكن في بأديه العرب في زمانه اخطب منه ويروي أن الرسول سأله عن الزبر قال ابن بدر فقال**« مانع لحوزته مطاع في أذنيه»** فقال الزبر قان **« أما انه قد علم أكثر من مقال ولكنه حسدني شرفي»** فقال عمرو **«: أما لئن قال ما قال فوا لله ما علمته الافيق الصدر زمر المروءة ،الأثيم الخال، حديث الغنى .** فلما رأى انه قد خالف قوله الأخر قوله الأول ورأى الاتكار[1] في عيني رسول الله قال**:« يا رسول الله! رضيت فقلت أحسن ما علمنا وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الاخره»** فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام عند ذلك:« أن من البيان إلى سحرا» وهن الخطباء بني منقر التميميين أيضا قيس بن عاصم الذي قال فيه الرسول صلوات الله عليه حين رآه هذا سيد أهل الوتر وهو الذي قال فيه عبده بن الطبيب حين مات:

«وما كان قيس ملكه ملك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما»

ومن خطباء إياد قس بن ساعدة وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وتحول من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ويقول الجاحظ « والاياد خصلة ليست لأحد من العرب لان الرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعده وموقفه على جمله بعكاظ ووعظته وهو الذي رواه لقريش والعرب وهو الذي عجب من حسنه واظهر من تصوييه وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال» على ان ابن حجر أنهم هذا الإسناد وخاصة بعد توسع الرواة في خطبة قصه وتحميلهم لها إشارات بقرب مبعث الرسول عليه السلام ومما لا ريب فيه لها أصلا صحيحا تزيد

[1] طه حسين في الأدب الجاهلي ص250

فيه الرواد وواضح أن هذه كثيرا من الخطباء الجاهلين أن لم يصح ما اثر عنهم من خطب فإن من المحقق إنهم خطبوا كثيرا في أقوامهم وقبائلهم وإلا ما أشهر بالبراعة ومن هذا اللون من ديوان اللسن والبيان وكان مما بعثهم على إحساسه حاجتهم إليه في مواطن ومواقف عدة وكان إلا ما يرتفع نجم سيدهم سادتهم إلا والخطابة صفة من صفاته سجيه[1]

من سجاياه حتى تساق له القلوب بأزمتها وتجمع له النفوس المختلفة من أقطارها وكل شيء يؤكد أن منزله الخطيب عندهم كانت فوق منزله الشاعر فهي قرين المؤيد السائد والشرف والرياسة ويقول أبو عمرو بن العلاء:« كان الشاعر في الجاهلية يقوم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفهم شانهم ويهول على عدوهم ومن غراهم ويهبب من فرسانهم ويخوف من كثره عددهم يعانيهم الشاعر غيرهم سيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكتبه ورحلوا إلى السرقة وتسرع إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر وعلى هدى هذا القول معنى الجاحظ يقول:« كان الشاعر ارفع قدرا من الخطيب وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكرهم بأيام فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر»[2]

وربما كان من أسباب ذلك أن الشاعر إذا استثنينا زهير كنن هو الذي يهيج النفوس للرحل بما يدعو للأخذ بالثأر و أما الخطيب فكان غالبا يدعو إلى السلم و أن تضع الحرب بين القبائل المتخاصمة أوزارها و مثيرا ما يقف من قومه موقف الناصح الأمين يهديهم و يرشدهم أما الشاعر فأكثر مواقفه هجاء و تنابز بالألقاب و الأحساب و المآثر و المعايب.

و قد تعارف خطباؤهم على جملة من المنن و التقاليد في خطابتهم، فكانوا يخطبون على رواحلهم في الأسواق العظام و المجامع

[1] أحمد الجوفي ، فن الخطابة ، دار النهضة مصدر الطباعة و النشر و التوزيع : (د.ط) 2002ص36

[2] محمد رزق حامد الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي. دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ط1 2010 ص220

الكبار وقد لأثو العمائم على رؤوسهم وفي أثناء خطابهم كانوا يمسكون العصا والمخاطر والقضبان والقنا والقيسي راكبين أو واقفين على مرتفع من الأرض وأشار إلى ذلك لبيد إذ يقول

ما إن أهاب إذ السرادق عمه ** قرع القسي وأرعش الرعديد

فوقفت السعودية طويلا عند عاده خطباء العرب من اتخاذ العصا والمحاصر ورد عليهم الجاحظ في بيانه مبينا فوائد العصا ومن قوله في تلك العادة (إن حمل العصا والمخ صره دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والاطاله وذلك شيء خاص في خطباء العرب ومقصور عليهم ومنصوب إليهم حتى أنهم يذهبون في حوائجهم ومخاطر بأيديهم الفن لها وتوقع البعض ما يوجب حملها والإشارة بها)

وكانوا يمدحون في الخطيب ثبات الحنان وحضور البديهة وقوة التلفت وكثرة الريق وجهارة الصوت وقوته وكانوا يعيبون فيه حتى التنحنح والارتعاش والحصر والتعثر في الكلام يقول النمر ابن ترلب:

أعدني ربي من حصر وعي ** ومن نفس أعالجها علاجا

ويقول أبو العيال :

ولا حصيري بخطبته ** إذا ما عز الخطب[1]

ولعل في كل ما قد منا ما يدل دلالة واضحة عدا أن الخطبة كانت مزدهرة في الجاهلية فقد كانوا على حظ كبير من الحرية وكانوا يخطبون في كل موقف في المفاخرات وفي الدعوة إلى السلم أو الحرب

وفي النصح والإرشاد وفي الصبر والزواج وابتغوا دائما في كلامهم ان يؤثر في نفوس سامعيه بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة.

الحكم:

الحكمة لغة من الحكم بالضم القضاء جمع أحكام وقد حكم عليه بالأمر حكما وحكومة والحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل وحكمه أتقنه واستحكم ومنه عن الفساد.[2]

الحكمة عبارة تنطوي على فكره صائبة في ناحية من النواحي الحياة موجزة موافقة بالحق والعدل في الغاية وهي توجيه الناس إلى سلوك الحكم والإيجاز في التعبير والسنة في التركيب والحكم جمل قصيرة بليغة خاليه من الخشب إلى تجار بالحكماء والمعمرين في الحياة والعلاقات بين الناس وهي ثمار ناضجة من ثمرات واختبار الطويل

[1] الجاحظ البيان والتبيين الطبعة الثالثة ص 80

[2] مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي القاموس المحيط مادة الحكم 1094

وقد اشتهر عند العرب في العصر الجاهلي طائفة من أولئك الحكماء مثل لقمان عاد وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم واكتم وليد بن ربيعه ولا يكاد يوجد في العصر الجاهلي سيد أو سيد أو خطيب مشهور إلا وظيفة إلى مجمله من الحكم[1]

نماذج من الحكم الجاهلين:

ما حك جلدك مثل ظفرك أي أنت أولى من يخدم نفسه

2-أعط القوس باريها باري القوس صاحبها عندما في الأمر على الخبير به اي المختص.

3- الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار أي اعبر القريب بالروح قبل الغريب بالدار ويعني كذلك الحذر من المخاطر قبل توقيعها

4- آخر الداء الكي: أي عليك بالعلاج الحاسم[2]

3 الأمثال :

وردت لفظه مثل في المعاجم العربية بمعاني كثيرة ففي لسان العرب وردت لقطه مثل بمعنى الشبه مثل يقال هذا مثله ومثله كما يقال تشبهه والمثل الشيء الذي يغرب لشيء مثلا فيجعله مثله.[3]

والأمثال جمع مثل وهي عبارة موجزة بتداولها الناس تتضمن فكره صائبة في مجال الحياة البشرية وتقلباتها والمثل حكاية حدث يتكرر بروحه ومغزاه وللمثل مورد والمغرب أما المرود فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأول مره أما المغرب فهو الحال الذي نستخدمه فيه لمشابهته قصة المثل.[4]

ولقد خلف لنا العرب في الجاهلية تراثا كبيرا من الأمثال حيث تهرب في حوادث مشابهة الحوادث الأصلية التي جاء فيها ومعروف في الجاهلية أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء على السنة و هناك بعض الأمثال الغامضة ومبهمة وقد أكثر العرب في الجاهلية من صنع الأمثال وضربها في جميع شؤون حياتهم وهن النظر في الأمثال

---

[1] سعد بوفلاقة دراسات في الأدب الجاهلي النشأة والتطور والخصائص 153

[2] سعد بوفلاقة دراسات في الأدب الجاهلي النشأة والتطور والفنون والخصائص 154

[3] ابن منظور لسان العرب مادة (مثل) ص122

[4] سعد بوفلاقة دراسات في الأدب الجاهلي ص 151

الجاهلية يجد طائفة منها توفر لها دروب من القيم التصويرية والموسيقى ففيها أحيانا تشبيه واستعارة وكناية وفيها أحيانا أخرى السجع وتنسيق وهي تجري في لغة التخاطب وأحاديث الناس اليومية وأكثر حكمهم وأمثالهم لا يعينون قائل لها.

إذا كان القصص الذي أضيف إلى الجاهليين لا يحمل لنا صوره دقيقه للنصر الجاهلي بحكم تأخره في التدوين فان الأمثال تحمل لنا غير قليل من هذه العورة إذ إن من شانها أن لا تغير وأنت ظل طويلا بصورتها الأصلية بحكم إيجازها للهجرة إذ ألف فيها سحار العبد أجد النسابين في أيام معاوية بن أبي سفيان(41-61هـ) كتابا كما ألف فيها عبيد بن شربيه معاشره كتابا أخر الفهرسين انه رآه في نحو 50 ورقه وإذا انتقلنا إلى القرض الثاني وجدنا التأليف في الأمثال يكثر من اخذ علماء الكوفة والبحرة جميعا يهتمون بها ويألفونها فيها وقد وصلنا عن هذا القرن الثالث فيؤلف أبو عبد القاسم بن سلام فيها كتابا بشرحه من بعده من بعده أبو عبيد البكري باسم فعل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام وما تزالوا المؤلفات في الأمثال تتواكل حتى يؤلف أبو هلال العسكري كتابه جمهوره الامتثال ويخطفه مجتمع الامتثال وهو يقول في مقدمته انه رجع فيه إلى ما يربوا على خمسين كتابا[1].

ومن يوجع إلى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التي تسمى مثلا ولا يكتفون ذلك بل يقفون غالبا لسرد القصة أو الأسطورة التي تم خط عنها المثل وقد تتمخض عن الأمثال الأخرى فتروا في موقفنا من هذه الأقاسيس والأساطير لا يختلف عن موقفها من القصص الجاهلي بعامه فنحن لا تتخذ منها صوره للنثر الجاهلي

تابع الأمثال:

ومن المحقق أن (هلو) مخطئ فما ذهب إليه من هذا التطور لشخصية لقمان بسبب بسيط وهو ما قلناه من أن قدمائنا فرقوا بين لقمان عاده ولقمان القران الكريم فيهما ليس شخصا واحدا بل هما شخصان وبينما تعني بالأول كتب الأمثال نجد الثاني تغني به ووصاياه كتب الفقه والتفسير مثل موت مالك وتفسير أبي حيان وقد روى الجاحظ طرفا من تعامله وهي تطبع بطبع ديني واشتهر في الجاهلية بينهم كثيرون بهذا اللون من الأمثال وما يتصل من حكم ويقول الجاحظ

[1] شوقي ضيف ،الفن و مذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة .ط10.(د.ت) ص22

ومن الخطباء البلغاء والحكام والرؤساء أكثم بن صيفي وربيعة بن حذار وهرم بن قطبه وعامر بن الطرب العدواني فأما اكتم فكان من المعمرين ويقال انه لاحقا الإسلام وحاول إن يعلن إسلامه فركب متوجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم غير أنه مات في الطريق وتدور على لسانه حكم وأمثال كثيرة وقد ساق السيوطي في المظهر طائفة منها نقلا عن ابن دريد في أماله وفي تجرى على هذا النسق:
« رب عجلة تهب وريثا اذرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل المرء يعجز لا محالة لا جماعة لمن اختلف» ، لكل أمر سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح فإنه كفى بالمشرقية وأغطى أسرع العقوبات عقوبة البغض ، نثر النصرة التعدي الم الأخلاق أضيقها.[1]

أسوأ الآداب سرعة العقاب رب قول أنفذ من صول الحر حر وإن مسه الضر العبد إن ساعد الجد إذا خضع الفؤاد ذهب الرقاد ردوا علام ليس فيه الاكتتاب حافظ على الصديق ولو في الحريق ليس من العدل سرعة العذل ليس بيسير تقويم العصير إذا بالغت في النصيحة فهجت بك على الفضيحة لو أنصف المظلوم لم يبقى فينا ثوم قد يبلغ الحقن القضم استأنا أخاك فإن مع اليوم غدا كل ذات بحل شئتم الحر عزوف لا تطمع في كل ما تسمع»

وعامر مثل أكثم يدخل في المعمرين ويقال انه« لما امن واعتراه النسيان امرأ أبعته أن تقرا بالعصا إذ صوفه عن الحكم وجاره من حكومات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار سحر بنت لقمان فهمت بنت أخس وجمعه وقال المتلمس في ذلك:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرأ العصر وما علم الإنسان إلا ليعلما

وكان مثل أكثر حكما للعرب تحتكم إليه وافتخر بذلك ذو الصبغة العدواني في بعض شعره فقال:

ومنا حكم يقضـــــي فلا ** ينقض مـــــا يقضـــــي

وتنسب إليه حكم ووصايا كثيرة لقومه[2]

وأكثر حكمهم وأمثالهم لا يعينون قائلها وهذا طبيعي لأنها تنبعث غالبا من أناس مجهولين من عامه القبائل ممن لا يجدون ولا تحفل بهم الناس وهم أيضا لا يحتفلون بأنفسهم لأنهم من العامة والعامة عادة لا يهتمون بالنسبة فضل إليهم ولا بد أن نلاحظ أن بعض أمثالهم يخفى

[1] الجاحظ.البيان والتبيين ، الطبعة الأولى ص 173

[2] محمد سعيد ربيع لغامدي مجمع الأمثال للميداني الطبعة الأولى ص50

المعنى المراد منه ومن أجل ذلك كان لا يفهم إلا بالرجوع إلى كتب لأمثالهم كقولهم:« هو من الكلام الذي قد عرف معناها سماعا من غير أن يدل عليه لفظه» ولا بد أن نلاحظ أيضا أن الأمثال لا تتغير فتقول:« الصيف ضيعت اللبن» بكسر التاء إذا خاطبه الواحد والأحد والاثنين والاثنين والجماعة ومن ثم كانوا يستجدون في المثل مخالفة النحو وقواعد التعريف والجمع.[1]

ففي أمثالهم:« أعط القوس باريها» بتسكين الياء في باريها والقياس فتحها وفيها أيضا:« اجناؤها أبنائها» جمع جان وبان والقياس «جناتها بناتها» لأن فاعلا لا يجمع على الأفعال.

وإذا كانت بعض الأمثال تخالف نظام التعريف والنحو فان الكثرة الكثيرة لا تشد عدا هذا النظام بل أن طائفة منها تدخل في صياغة الجاهلية

البليغة إذ نطق بها بعض بلقائهم وفصحائهم.[2]

من الأمثال أكثم بن صيفي وعامر بن الطرب وكان خطبائهم المفهوم كثيرا ما يعمدون على جسدها في خطاباتهم يقولوا الجاحظ:« كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكون الناس خطباءهم يودعونها إشعارهم ومن ثم عنا نجد كثيرا منها يتوله لحنه الموسيقى فإذا هو شطر أو بين وكثيرا ما نلاحظ في بعض عباراتها احتفالات يتوازن الكلمات توازنا ينتهي بها إلى السجع كما نلاحظ في بعض جوانبها اهتماما بالتصوير ومن اجل ذلك يقول النظام إنها:« نهاية البلاغة لما تشتمل عليه من حسن التشبيه وجود الكناية»

و اقرأ هذه الأمثال :[3]

تجوع الحرة ولا تأكل بشاديها - المقدرة تذهب الحفيظة - مقتل الرجل بين فكيه -إنما المرء أصغر به: قلبه ولسانه - من استر على الذئب ظلم - في الجريدة تشترك العشيرة - وقد يأتيك بالأخبار من لم تزود كذا العري كوى غيره وهو رائع - استنوق الجمل - كالمستجير من الرمضاء بالنار - حلب الدهر أسطوره -يخبط خبط عشواء - السنية

---

[1] محمد سليم أختر التميمي الأمثال العربية الطبعة 02 ص 101

[2] شوقي ضيف الأمثال في العصر الجاهلي الطبعة ص 33

[3] محمد توفيق أبو علي الأمثال العربية والعصر الجاهلي الطبعة الثانية ص 76

ولا الدينية - تحت الرغوة اللبن الصريح - هدنة على دخن - ومثنى بدائها وانسلت.

فانك تحس جمال الصياغة وان صاحب المثل قد يعمد إلى الضرب

تنظيم الموسيقى لفظه فإذا هو يشجع فيه وإذا هو ينظم شطرا منها بيت وقد يعمل إلى ضرب من الاخيله للجسم المعنى ويزيده حدة وقوة والحق أن كل شيء يؤكد أن العرب في الجاهلية غنوا بمنطقتهم واستظهار ظروف من الجمال فيه سواء ضربوا أمثالهم او تحدثوا أو خطبوا وقد وصفها جل وغر أو وصف فريقا منهم بقوله« ولتعرفنهم في لحن القول ويقول «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا» وكأنها أصبحت المقدرة البيانية عندهم سليقة من سائقهم ولذلك لم يكن عجبا أن نكون انه الرسول صلى الله عليه وسلم على صدق رسالته معجزة بلاغية لا يستطيعون أن يجرى وها هي القرآن الكريم «وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عميد»[1]

الوصايا:

وصى كالوعي خس بعد رفعة واتزن بعد خفه واتصال فوصل والأرض وصيا وصاء ووصاة اتصل نباتها وأوصاه ووصاه توصيه عهد إليه والبوصات والوصية: الاوصى الرجل ووصاه عهد إليه.[2]

الوصايا جمع وصية وهي عبارة عن خلاصة موجزة عن حياة الإنسان المليئة بالتجارب والخبرة والحنكة وأعراف وهي آخرها يقدمه المرء إلى أبنائه وذويه في حياته أو نهايتها بعد أن اختبر الحياة بكل ما فيها من حلو ومر.[3]

وقد وردت الوصية عند العرب في الشعر والنثر معا و اشتهر بها حكماء من عرب الجاهلية منهم: ذو الإصبع العدواني و أوس ابن حارث وهمام بنت الحارس كما أن للوصية هدفا تربويا ترمي إليه يتصل بحياة الإفراد والجماعات حيث تكون الوصية من الآباء لأبنائهم

---

[1] خضر موسى محمد محمود التجوال في كتب الأمثال ط 7 عصر الدول والإمارات دار المعارف مصر 1980.. ص80

[2] مجد الدين يعقوب محمد الفيروز آبادي قاموس محيط المادة(ز. ص. ى) ص 1233

[3] بن منظور لسان العرب مادة(و. ص. ى) ص293

لصالح خيرهم ليحسنوا تدبير أمورهم بأنهم الآباء لا يدومون لأبنائهم وكثر وصاياهم خاصة عند نذو آجالهم.

وصية أمام بنت الحارث لابنتها أم إياس حين زفت إلى زوجها: أي بنت أن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للفاضل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استضفت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال.[1]

أي بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه والى وقرين لم تألفيه فأصبح قلبك رقيبا ومليكا فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا يا بنية احملي عني عشره خصال تكن لك نخرا ونكرم: الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح والكحل أحسن الكحل والماء أطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدوء عنه عندما قامت فانه حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة والاحتفاظ ببيته وماله والأربعاء على نفسه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير الادعاء على العيال والحشم الجميل وحسن التدبير ولا تخشى له مرا ولا تعصي له أمرا فانك السبق مرة لم تؤمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع[2] ذلك الفرح أمام أن كان فرحا والاكتئاب عنده الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني أشدها تكونين له أعضائها يكن أشد ما يكون لك إكراما ..

وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك مرافقة واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهو على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك-

وصية ذي الإصبع العدواني :

لما احتضر ضوء الأصبع العدواني دعا ابنه أسيدا فقال له يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش واني هو حيك بما إن

[1] عمر عروة النثر الفني القديم أبرز فنونه وإعلامه دار القصبة للنشر (د. ط) .(د. ت) ص21

[2] سعد بوفلاقة دراسات الأدب الجاهلي ص 156

حفظته بلغت في قومك ما بلغته فأحفظ عني ألف جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك ويضيفونك ولا تأثر عليهم بشيء يمدوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم واسمح بما لك واحمي حريمك وعز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في التعريف فان لكم أجلا لا يعدوك ومن وجهك عن مسألة أحد شيئا فبذلك يتم سؤددك.[1]

صور النثر الجاهلي:

حين نتحدث عن النثر الجاهلي ننحى النثر العادي الذي يتخاطب به الناس في شؤون حياتهم اليومية فإن هذا الضرب من النثر لا يعد شيء منه أدبا إلا ما قد يجري به من أمثال إنما الذي يعد أدبا حقا هو النسر الذي يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس السامعين والذي يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء وهو أنواع منه ما يكون قصصا وما يكون خطابا وما يكون رسائل أدبية ويسمى بعض الباحثين النوع الأخير باسم النثر الفني.

وليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهلين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولها وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة فقد عرفوها غير أن صعوبة وسائلها[2] جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية ومن ثم استخدموها في الأغراض السياسية والتجارية ولا ينقض ذلك ما جاء في السيرة النبوية من سويد بن صامت قدم مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه إلى الله والى الإسلام فقال له سويد فلعل ذلك معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما الذي معي؟ فقال: مجلة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعرضها علي! فقال له: أن هذا الكلام الحسن. والذي معي أفضل من هذا قرآن انزله الله عليه، وهو هدى ونور، فتلا عليه

رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام يستبعد، فقال: (إن هذا القول حسن...)

وهذا الخبر إنما يفيد انه كان عندهم صحيفة بها بعض أمثال وحكم مما كانوا ينسبونه إلى لقمان ووجود مثل هذه الصحيفة لا يدل إنهم يستخدموا الكتابة في التعبير عن وجدانهم نصرا وشعرا لقد كانت محدودة الانتشار بينهم ومن التعسف أن تزعم ذلك بمجرد الظن بينما

[1] سعد بوفلاقة دراسات في الأدب الجاهلي ص 156

[2] جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام الطبعة الثالثة ص 99

تنقصنا أو تعوزنا النصوص الحسنه وإذا كنا نفتقد الأدلة المادية على وجود رسائل أدبيه في العصر الجاهلي فمن المحقق انه وجدت عندهم عدوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة والمسجى الكهان ومن المؤكد إنهم كانوا يشرفون شديدا ويساعدنهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء فكانوا حين يرضى الليل سأدوله يجتمعون للسهر وما يبدأ احدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله كان وكان حتى يرهف الجميع أسمائهم إليهم وقد يشترك بعضهم معه في الحديث وشباب الحي وشيوخه ونسائه وفتيانه المنحدرات وراء الأغبياء كلها هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفه ومن غير شك كان يفيض القصاص على قصص من خياليه وقته وحتى يبهر سامعه وحتى يملك عليهم قلوبهم فيحولهم من الشفقة إلى محبه الانتقام ومن الضحك إلى الجد وعيوبهم تلمع في وجوههم السمر وقلوبهم تخفق من الآن إلى الآن وليس بين أيدينا شيئا من أصول هذا القصص الذي كان يدور بينهم ،[1] غير أن اللغويين والرواة في العصر العباسي دونوا لنا ما بني إليهم منه وطبيعي أن تتغير وتنحرف أصوله في أثناء الرحلة الطويلة
التي قطعتها من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني الهجري ،وإن كان من الحق أنها ظلت تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم و ظلت تنبض بروحه و حيويته . و يمكننا بواسطة ما دونه العباسيون أن نعرف ألوان هذا القصص الذي كانوا يتثاقلونه بينهم ، ربما كان أكثر هذه الألوان شيوعا على ألسنتهم أيامهم و حروبهم و ما سجله أبطالهم فيها من انتصارات مروعة و ما مشيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة ، وقد ظلوا يقصون هذه الأيام و الحروب إلى أن تناولها لغويا القرن الثاني لهجرة و رواته ، فدونوها ندوي منظما على نحو ما هو معروف عن أبي عبيدة في شرحه لنقائض جرير والفرزدق ، و توالى منت بعده التأليف فيها و العناية بها على نحو ما تقدم في غير هذا الموضع .[2]

وكانوا يقصون كثيرا عن ملوكهم من المناذرة و الغسانسة و من سبقوهم أو عاصروهم مثل ملوك الدولة الحميرية و مثل الزباء ، مما نجده مبثوثا في تاريخ الطبري و في السيرة النبوية لابن هاشم ، و سقط من ذلك الكثير إلى أبي الفرج في أغانيه ، و من المحقق أن كثيرا من

---

[1] سعد بوفلاقة دراسات في أدب الجاهلي النشأة والتطور والفنون والخصائص منشورات جامعة باجي مختار(د. ط): عنابة 2006ص161

[2] شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي ، الطبعة ثاني عشر ص 44

هذا القصص يخالف التاريخ الحقيقي لهؤلاء الملوك : على نحو ما هو معروف عن قصة الزباء ، و ربما جاء هذا التحريف من أن أباها كان يدعي زباي ، فنسبوها إليه و قالو بنت زباي ، ومع مر الزمن حذفوا كلمة بنت ، أبدلوا الياء المتطرفة بعد الألف حسب قواعدهم الظرفية همزة ، و أدخلوا علبى الاسم أداة التعريف فأصبحت الزباء.

و على نحو ما كانوا يقصون عن ملوكهم و أبطالهم كانوا يقصون عن ملوك الأمم من حولهم و شجعانهم ، يدل على ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن بن الحارث كان من الشياطين قريش و منن كان يؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينصب له العداوة ، و كان قدم الحيرة و تعلم أحاديث ملوك الفرس و أحاديث رستم و إسفنديار ، فكان إذ جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فذكر فيه بالله ، وحذر أصاب قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذ قام ، ثم قومه ما قام ، ثم قال : أنا و الله يا معشر قريش أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس و رستم و إسفنديار ....

ربما لا ريب فيه أنهم كانوا يقصون كثيرا عن كهانهم و شعرائهم و سادتهم ، و هو قصص استمدت من كتب التاريخ و الشعر الأدب مستعينا لا ينصب من الأخبار ، و ارجع إلى تراجم صاحب الأغاني فستراها تحتفل بمادة غنية من القصص ، و قد بثوا فيها غير قليل من قصص الهوى ، كقصة المرقش الأكبر و صاحبته أسماء بنت عوف : و ما كان من عشقه لها و هو غلام و محاولته خطبتها من أبيها ، و الاعتذار الأب له بحداثة سنه و أنه وأنه لم يعرف بعد بشجاعة ، و ما كان من انطلاق المرقش إلى بعض الملوك و مديحه له و بقائه عنده زمنيا ، و في هذه الأثناء أصاب عوف زمان شديد ، فأتاه رجل من مراد ، أرغبه في المال ، فزوجه ابنته على مائة من الإبل ، و رحل بها إلى أهله ، و قال إخوة المرقش لا تخبروه حين يرجع ، بل قولوا له إنها ماتت ، و ذبحوا لذلك كبشا[1]

أكلوا لحمه و دفنوا عظامه، فلما قدم المرقش قالوا له إنها ماتت، ولم يلبث أن عرف الحقيقة بعد أن ظل مدة يعود قبل الكبش و يزوره. و خرج المرقش يطلب أسماء ، و بعد مغامرات يتعرف على راعي زوجها ، و يتوصل إلى أن يحدثها عنه ، فيقول له : إني لا استطيع أن أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة ،فأحلب لها عنزة ، فتأتيها لبنها

[1]شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي" دار التعارف القاهرة، ط11، (د.ت) ص422

، فقال له المرقش ك خذ خاتمي هذا، فإذا حليب فألقه في اللبن ، فإنها ستعرفه ، وإنك مصيب بذلك خيرا لم يصبه راع قط أن أنت فعلت ذلك ، فخذ الراعي الخاتم ، و لما راحت الجارية بالقدح و حلب لها العنزة طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به و تركته بين يدي أسماء فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته ، و كذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثنيتها ، فأخذته فاستضأت بالنار ، فعرفته . فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : مالي به علم . فأرسلتها إلى مولاها و هو ينخران، فأقبل فزعا، فقال لها لم دعوتني ؟ قالت له : ادع عبدك راعي غنمك ، فدعاه ، فقالت : سلته أين وجد هذا الخاتم ، فقال : وجدته مع رجل في كهف خبأن ، فقال لي : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء ؟، فإنك مصيب به خيرا ، و ما اخبرني من هو ، ولقد تركته بآخر رمق ، فقال لها زوجها : و ما هذا الخاتم ؟ قالت: خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه. فركب فرسه و حملها على فرس آخر و صار طرفاه من ليلتها، فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء و قال قبل أن يموت:[1]

سرى ليلا خيال من سليمي ** فارقبي و أصحابي هجود

فبت أدير أمري كل حال ** و أذكر أهلها و هم بعيد

سكن ببلدة و سكنت أخرى ** و قطعت المواثق و العهود

فما بالي أفي ويخان عهدي ** و ما بالي أصادو لا أصيد

ثم مات فدفن في أرض مراد .[2]

و لم نسق هذه القصة مؤمنين بأنها نفس قصة المرقش التي دارت في الجاهلية بلغتها و بجميع تفاصيلها ، و لكنا سقناها لندل بطوابعها على صورة أمثالها في الجاهلية ، و ما كان يتيح القصاص لمثلها من عناصر التشويق ، تارة بما يضيف إليها من أشعار ، و قد يضيف إليها أمثالا ، على نحو ما نعرف في قصة الزباء ، و هي تتضمن عند الصبي اثني عشر مثلا و إذا صح ما ذهب إليه بروكلمان من أن

[1] جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام طبعة الثالثة ص101

[2] نفس المرجع ص102

تعرف أحد العاشقين على الآخر عن طريق الخاتم شائع في كثير من حكايات عند الأمم غير العرب كان معنى ذلك أن قصص الجاهلين حتى في الحب تسربت إليها عناصر من حكايات العشق المماثلة عمد الأمم الأجنبية ،و يدخل في هذا الجانب بعض الخرافات عن الحيوانات التي يلتقون فيها انجرفات الأجانب لخرافة الحية و الفأس ، و قد رواها الضبي على هذه الشاكلة :[1]

{زعموا أن أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما ، فأجدبت بلادهما ، و كان قريبا منهما واد فيه حية ، قد حمته من كل أحد ، فقال أحدهما لآخر : يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المكلى ، فرعيت فيه إبلي و أصلحتها : فقال له أخوه : إني أخاف عليك الحية : ألا ترى أحدا لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته ،

قال: فوا لله لأهبطن . فهبط ذلك الوادي، فرعا إبله به زمانا ثم أن الحية لدغته فقتلته فقال أخوه ما في الحياة بعد أخي خير ،ولأطلبن الحية فاقتلها أو لاتبعن أخي فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها فقالت الست ترى إني قتلت أخاك فهل لك في الصلح و أدعك بهذا الوادي فتكون به و أعطيك ما بقيت دينارا في كل يوم قال أفاعله أنت قالت نعم قال إني افعل فحلق لها وأعطاها المواثيق لا يضرها وتعرض تغطية كل يوم دينار كثر ماله ونمت ابنه حتى كان من أحسن ناس حالا ثم انه ذكر أخاه فقال كيف ينفعني العيش وأنا انظر إلى قاتل أخي فلان فغمده إلى الفأس احدهما ثم قاعد لها فمرت به فتبعها وضربها فخاطاها ودخلت الجحر فرم الفأس بالجبل فوق جحرها فاثر فيه فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كان تعطيه ولم ذلك تخوف شرها هل لك في أن توافق وتعود إلى ما كنا عليه فقال كيف أعاهدك ؟ وهذا أثر فأسكم وأنت فاجر، لا تبالي على عهد فكان حديث الحية والفأس مثلا مشهورا من أمثال العرب قال نابغة بني ذبيان (من قصيده يعاتب بها بني مرة)[2]

واني لألقى من ذوي الضغن منهم ** بلا عثر والنفسي لابد عاثرة

[1] سعد بوفلاقة دراسات في الأدب الجاهلي ص 160
[2] الجاحظ البيان و التبيين ،طبعة01 ، ص380

كما لقيت ذات السفر من خليقها ** وما انفكت الأمثال في الناس سائرة

وينشد الظبي بقية القطعة التي يتحدث فيها النابغة عن قصة حافظت على الأصل الجاهلي وإن كنا في الوقت نفسه تظن ظنا إنها تعطينا جانبا من روح القصص الجاهلي وأنه كان يلتقي في بعض جوانبه في قصص الحيوان المعروف عند الهنود والذي تشرب منهم إلى الأمم الأخرى وعلى نحوها ما نعرف في قصص ايسوب اليوناني وبين قصصه الزرع والحية و كأنما هذا النوع من الهند إلى العرب وهل ينال جميعا.

ومما لا شك فيه أن العرب الجاهليين قصر كثيرا عن الجن والعفاريت والشياطين وقد زعموا أنها تتحول في أي صورة شاءت إلا الغول فإنها تبدو في صورة امرأة عدا رجليها فلا بد أن تكون رجلي حمار . وكثيرا ما يتراءى الجن في سورة الثيران والكلاب والغنام والنسور وكانوا يزعمون أن أهم منازلها الأرض و بار و صحراء الدهماء . و من غير شك دخل كثير من قصصهم عنها في كتب الأساطير والعجائب التي ألفت في العصر العباسي[1].

ونحن لم نسق ذلك لنؤكد أنه بقيت لنا من القصص الجاهلي بقية صالحة للدراسة ، فإن شيئا من هذا القصص الذي يضاف إلى الجاهليين لم يصلنا مدونا مكتوبا ، و لذلك كنا نتهمه جملة، وإن كنا بعد هذا الاتهام نعود فزعم أنه يصور لنا مادة قصصهم و روحه و طبيعته و كثيرا من ملامحه ، ولكن لا تصوره دقيقة ،و إنما بصورة عامة .

سجع الكهان :

تعريف السجع : لغة : جاء في لسان العرب لابن المنظور :سجع يسجع سجعا بمعنى استوي و استقام و أشبه بعضه بعضا ، و السجع :الكلام المقفى ، و الجمع أسجاع و أساجيع . كلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن و صاحبه سجاعة، و هو من الاستواء و الاستقامة و الاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبته .

اصطلاحا :

عرف السجع المصطلح عليه في البلاغة العربية بتعريفات عدة كلها تصب في قالب واحد هو التوافق في الحرف الأخير أو التعادل في الوزن أو فيها معا ، فهو طريقة في الإنشاء ،سارت منذ القدم في النثر العربي ،و راجت كثيرا في عصور التنسيق مع ما راح من

[1] الجاحظ البيان و التبيين طبعة 01 . ص 36

محسنات بديعية ، و هي تقوم على اتفاق فاصلتي الكلام من حرف واحد من التقفية .

وقد عرفه المبرد لقوله : السجع في كلام العرب : إن يأتلف أواخر الكلام على نسق كما تأتلف القوافي .

و عرفه أبو هلال العسكري : هو أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين ، ليزيد احدهما على الأخر مع اتفاق الفواصل على حرفه بعينه [1].

وعرف ابن الأثير : السجع بقوله : هو تواطؤ الفواصل في الكلام على حرف واحد .

كما عرفه السيوطي السجع : هو موالاة الكلام على حد واحد .

سجع الكهان :

كانت الجاهلية عند العرب طائفة تدعى أنها تعلم الغيب و تطلع عليه و تعرف ما يأتي بع الغد ، وتزعم أن توابعها من الجن هم الذين يوصلون إليها المعلومات و المعارف ، و الكهان جمع مفردة كاهن اسمه "الرئي" و تأتي قد سبيتهم من كون اغلبهم يخدمون بيوت الأصنام ، و كان بعض الناس يتجهون إليهم يحكونها في المنازعات و المنافرات ، و يستشعرونهم في أمورهم وخاصة المستقبلية و يقصون عليهم أحلامهم لكي يفسروا لهم ، أحيانا كان الكهان ينذرون بعض القوم بأحداث تقع لهم ،و لكم تكن الكهانة مقصورة على الرجال ، بل كان هناك نساء كاهنات كذلك[2].

استثمر الكهان في الجاهلية :

شق انمار : و تحكي عنه الأساطير عن خلقته و انه كان يصف إنسان له عين واحدة ، وكذلك نجد :"خنافر حميري " ،سلمه بنت أبي حية أما الكاهن من النساء فإنهم كثيرات منهم : زرقاء اليمامة ، و زيراء ،و الشعثاء.

نماذج من سجع العرب في الجاهلية:

1 - نموذج لأحد كهان العرب في الجاهلية وهو سلمى بن أبي حية والذي يقال له عزه سلمى ومن قوله والأرض والسماء والعقاب الصقعاء واقعة ببقعاء، لقد نفر المجد بين العشراء للمجد والسناء.

2 - نموذج للكاهنة "زيراء" حيث أنها تنذر قومها غارة عليهم من الأعداء ، فقالت : " واللوح الخافق و الليل الغاسق، والصباح الشارق والنجم الطارق ، إن

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجع) ، ص179

[2] مالك محمد جمال بني عطا، السجع في العصر الجاهلي دار جليس الزمان. عمان.ط1 . 2013 ص7

شجر الوادي ليدو قتلا ، و بحرق أنياباً عصلاً ،و آن صخر الطود ينذر ثكلاء ، لا تجدون عنه معلاً.[1]

[1]سعد بوفلاقة دراسات الأدب الجاهلي النشأة و التطور والفنون و الخصائص منشورات جامعة باجي مختار.(د.ط) عنابة 2006.ص 158

الفصل الثاني:

مستويات التحليل اللساني لخطبة سوق عكاظ لقس بن ساعدة الإيادي

الخطبة الوعظية:

هي الخطبة التي تفي في مناسبات دينية ، الغد يتولاها أحيانا من له في قومه منزلة الحليم التاسع المرتد ، أو قد يتولاها الأب فيعط ولده ، أو الرجل أهله . أو الشيخ فته أو قومه[1].

ولعل الاضطراب الديني والعق الروحي اللذين سادا الجريرة العربية قبل الإسلام كان سيما في ظهور جماعة من الحكماء يدعون القوم إلي نبذ ما هم عليه من جهالة وضلالة وما يتعلقون به من عادات ونزعات غير حميدة[2]

ومنذ ذلك الحين انصرفت الطوائف المسيحية واليهودية إلي التبشير والإرشاد الديني والخلقي ، والدعوة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة ، ولى الزهد بالدنيا.

لقد ظهرت جماعة الأحناف ، وكانوا يشكون فئة مستمرة في الموقع العربي قبل الإسلام يراضون عبادة الأصنام ، والعمل على إتباع ملة إبراهيم الصيف ، ويبدو أنهم كانوا ذوي اهتمامات دينية ودائمي البحث عن الدين الحق .

وتمت دعوة الأحناف بعدم الاستسلام تقليد الآباء والأجداد ، ومن الحنفاء الذين آمنوا بوحدانية الله ورجعوا في فك إلى ملة إبراهيم (عليه السلام) قس بن ساعدة الأيدي الذي لم تنكر

[1] هاشم جاسم البياني، دراسات في الأدب الجاهلي ،ينظر : 131/1

[2] إحسان النص ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي :10

المصادر عنه الشيء الكثير بل اكتفت ينتف عن حياته منها له عمر طويلا ، وأنه قد ترهب واخذ يسوح في البراري والقفار متفكرا ومتأملا ، يحث الناس ويدعوهم إلى الإيمان بالبعث واليوم الأخر ، و نبذ عبادة الأوثان والأصنام ، وما كان منتشرا في الجاهلية من ألوان العيادة المنحرفة.

كما تذكر بعض المصادر أن له شعرا ونثرا في الوعظ والإرشاد والتنبيه على ما أودع في هذا الكون من إيداع في الخلق على انه له خالق واحد لا شريك له وانه لابد من أن يأتي يوم ينبعث فيه الناس من قبورهم ويحاسبون على ما عملوا:

يا ناعي الموت والملحود في حدث ** عليهم من بقايا نومـــهم حـــذق

دعهم فان لهم يومـــا يصاح بهم ** فهم إذا انتبهوا من نومـــهم ارقوا

حتى يعـــــودوا بحـــال غير ** خلقا جديدا كما كان من قبله خلقوا

منهم عراة وسوئـــــي في ثيابهم ** منها الجديد ومنها الأزرق الخلق

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم رآه قبل الرسالة بسوق عكاظ يخطب على جبل أحمر بكلام جديد موثق يقول: أيها الناس ، اسمعوا ، وعوا .. فقال الرسول بشأنه رحم الله قسا، إني أرجو أن يبعثه الله أمة واحدة)[1]

وهكذا يتبين لنا أن صوت الخطيب في نصوص الخطب الدينية جميعا، كان صوتا مجلجلا فيما يدعو إليه وبما يوافق رؤيته ، وبما يخدم التوجهات الاعتبارية والوعظية والأخلاقية ، و فهي عموما تلتقي مع الهدف الأساسي الذي تهدف إليه رسالة الدين :

و سنعمد في هذا المقام إلى تحليل خطية (قس بن مساعدة الأيادي) و تأثير المستوى (الصوتي والتركيبي والبلاغي والدلالي) بحثا عن سماتها الأسلوبية التي لها التأثير الفاعل في تنمية المتلقي.

خطبة قس بن ساعدة الأيادي:

يروى أن الرسول لي الله عليه وسلم قد سمعه يخطب في سوق عكاظ على حمل أورق يقول: أيها الناس ؟ اسمعوا وعوا ، انظروا ، واذكروا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ا ليل داج[2] ، ونهار ساح ،

[1] لابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير :360/1

[2] ليل داج ، ليل ذو ظلمة شديدة ، ينظر ، لسان العرب :949/1، مادة (دجا)

وسماء ذات أبراج[1] " ، ونجوم تزهر ، ويحار تزخر ، وجبال مرساة وأرمن منحاة ، وانهار محراة ، إلا أن ابلغ العظات ، السير في القنوات ، والنظر إلى محل الأموات إلي في السماء لخيرا ، وان في الأرض لعبرا أما لي أرى الناس يذهبون و فلا يرجعون ؟ أرنوا هناك بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فقاموا ؟ لين الإباء والأجداد؟ أين المريض والمواد البن الفراعنة الشداد ؟ أين من بني رشيد ، وزخرف ونجد ، وغره المال ولولد به أين من عطفى ويعي ، وجمع فأوعي ، وقال : أنا ربكم الأولي ؟ الم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأطول منكم آجالا ؟

في الذاهبين الأولين ** ن القرون لنا بصائر
لما رأت موارد ** للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ** تمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلـ ** ـى ولا من الباقين غابر[2]
أيقنت أني لا محـ ** ـة حيث صار القوم صائر

المستوى الصوتي :

تعد خطبة قس بن مساعدة الأيادي من ابرز الخطب الوعظية ليس على مستوى المضمون حسب بل على مستوى التركيب ، والتركيب الصوتي بالذات ، ولم يصل إلى هذا المستوى إلا بعد رحلات الطويلة بين الألفاظ وسحرها الموسيقي وتلاحمها مع المعني ، فقد شهد المرسل علاقة صوتية كبيرة في خطبته توا شجت مع المعنى في نسيج رائع ، حيث تكمن هذه العلاقة السرية المخزونة في ألفاظ بما تحتوي من أصوات تخلف، أي وضوحها السمعي وقدرتها على إبراز المعني .

ويتجلي البناء الصوتي لهذه الخلية من خلال انتقاء الأصوات المهموسة و المجهورة كي تكون منسجمة مع وحدات الحمل .

بيد أن استقلال كل فقرة بإيقاعها الخاص مع الاسترسال في الدلالة مكونة إيقاعها صوتها هو ما تعكسه اللغة من أسرار ، وما يتجلى فيها من تقام بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها ، وما يتبع ذلك من تركيز وسرعة وبطء وتكرار وتوكيد وتنويع في النغم[3] وهذا الإيقاع حقق إشباعا

---

[1] سماء ذات أبراج، البروج منازل الشمس و القمر و عددها اثنا عشر برجا ، المصدر نفسه : 185/1 ، مادة (برج)

[2] ينظر ، غابر : مقيم ، لسان العرب : 952/2 ، مادة (غير)

[3] محمد فتوح احمد عجلة البيان - الكويت ، ظاهرة الإيقاع في الخطاب الشعري ع(288)، لسنة 1990:59.

سمعيا بالوقوف على موت المد (الواو) اللين والمرقش بالألف (و) بشبة أربع مرات والكامنة في اسمعوا ، وعوا ، انتظروا ، وأنكروا) -

والواو صوت جهور أشبه بالحروف المتوسطة ومخرجه من بين أول اللسان ووسط الحنك الأعلى وهو من حروف اللين.[1]

فهذا المد أسهم في إطالة الصوت و امتداد النفس ليصل إلى جمهور السامعين ، بل أن المقام هو حث الناس ودعوتهم إلى الاتعاظ والتذكير بالموت ، فجاء تكرار الفواصل المسجوعة .

أن تكرار أداة الاستفهام يوضح اثر النبر والتنغيم في الدهشة التي ينطلق منها النص ، وتوضح اثر العلاقات النحوية في ترتيب الكلمات لتودي معني المقصود.

وبالعودة في النص - لاستكمال رصد التقنيات الأسلوبية الصوتية - ترى أن التوازي قائم بين جملتين متشكلتين وفق التضاد لدلالي في قوله (انه من عاش مات ، ومن مات فات)

فالجملتان قدمت صورتين اعتمدتا على التضاد لدلالي بين حالين ، إلا أنهما قائمتان على مبدأ التوازن ، ويسبب التشابه بين الوحدات المتقاربة فيما بينهما ، فقد أدى ذلك إلى حصول تماثل صوتي أفضى بدوره إلى جعل بني التوازي متماثلة تركيبيا ، كما ولد هذا التماثل نوعا من الإيقاع تجسد في شمال الصيغة المصرفية بين الجملتين.

إن هذا التماثل تجسد من خلال تشابه الفواصل بين الجمل (من عاش مات ، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت) ، إذ يتجلى المقطع المديد المقفل بصوت صامت (آت) في السجعات الثلاث بامتداد موت المرسل ليلتي بالموت المسامة او السكون الذي هوة مهداه لمسكن أسواق الملاقي نجاة الدلالات مرتبطة بمعانيها ،

والإيقاع المولد عن هذا الشمائل أعلى قيمة الفعل الدلالية وكان حرف (التاء) هو مركز النبر ، وهو من الحروف الشديدة، وبهذا تم التلاؤم بين الإيقاع والوظيفة الدلالية ،

كما يحفل تم أس بن ساعدة بالجناس الناقص في (مات ، فات) ، فضلا عن الجناس التام بين (آت آت) ، وهذا الجناس يدور حول نواة دلالية واحدة وهي الحياة والموت المحدق بالإنسان .

[1] حاتم صالح ضامن ،فقه اللغة :149

ويمثل الجناس بين هذه الدوال لما فيه من "عاملي التشابه في الوزن والصورة ، أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام ، وسر قوته كامن في كونه يقرب من مدلول اللفظة وصورته من جهة ، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ من جهة أخرى ،[1]

ويلتقي تماثل الجملتين (من عاش مات و ومن مات فات) بظاهرة الترديد الذي يعني تعلق اللقطة بمعنى من المعاني ثم تردها بعينها وتعلقها بمعنى آخر)[2] ، فبنية الترديد تكونت من تكرار لفظة (مات) مرتين بلفظها ومعناها المعجمي أيضا ، ولكن معناها من خلال السباق يختلف عن المعنى المعجمي ، وذلك من خلال التعليق النحوي ، فالأولى تعلقت به (عاش) والثانية تعلقت ب (ذات).

فالتوافق بين كلمتين في جملتين من حيث اللفظ يؤول إلى التوافق والتماثل مع الإبقاء على الاختلاف في المعاني[3] و ذ (مات) في الحملة الأولى جاءت بمعنى انتهاء الحياة) ، في حين (مات) في الجملة الثانية تؤول إلى حقيقة الإنسان بعد الموت).

والتشكيل التكراري للفتن (مات ، آت) أثرى البنية الإيقاعية من خلال التغيير الحادث في الشق اللغوي ، نجعل إيقاعاتها إيقاعات متداخلة تبدي تماثلان نونية تقاطعية على المستوى الألفي لاتينية اللغوية.

واستمرارا في متابعة التوازنات الصوتية القائمة على التصادف الأسلوبي الذي يطالعنا التوازي الأتي بمتتالية ذات الحمل الثلاث التي اعتمدت على سمة الانتظام الداخلي في النص :

ليل داج
نهار ساج
سماء ذات أبراج
إلا أن السلع العظات
السير في الفلوات
والنظر إلى محل الأموات

---

[1] عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم إشعار العرب و صناعتها :663/2.

[2] للعلوي ، الطراز :565

[3] فايز الفرعان ، ينظر : التكوين التكراري في شعر جميل بن مصر ، مجلة مؤته للبحوث و الدراسات ، الأردن ،مج (11) ، خ(6) : لسنة 1996:76

إلا بعد التوازي سمة من سمات الانتظام الداخلي البالغ الوضوح فيقوم على التقابل أو التناقض أن جملتين أو مستويين معنويين تعبيرين يشكلان وحدة الجملة الإيقاعية ، إذ اخذ التوازي معناه من داخل التناقضات التي يثيرها ، فيقيم من وسط التناقض والتداعي حركة إيقاع خامس في النص ،[1]

إن هذا التوازي (المتماثل) شكل توازيا على المستوى السمعي للمتلقي ، إلا أن هذا اللون من التوازي يثير توقع السامع ويحث توترا على مستوى الإيقاع والتركيب والدلالة ، فمن حيث الموت يمنح الإذن رقة موسيقية متساوية ، ومن حيث التركيب النحوي تماثل بنية الكلمة في بداية كل جملة ، أما على المستوى الدلالي فإنها تعكس الهاجس الانفعالي ، لأنها ترسخ دلالة معاني الدين ومدلولاته ، فضلا عما يحمله هذا الطابع من ركائز تربوية وإرشادية، داعيا إياهم إلى الاتعاظ ، ويحضهم على السير في العلوات والنظر في القبور لكي يدركوا ما سيؤولون إليه .

كما يقترن هذا المفهوم بدلالة أخرى وهي إيقاظ النفوس المراجعة ذاتها والعزوف عن المعاصي والذنوب ، وتطهير النفوس ، وما إلى ذلك ،

وضم النص توازيا أخر قائما أيضا على تفكير المتلقي بالملف السابق من أبائهم وأجدادهم،إلا انه يختلف عن التوازي السابق باقتران الأخير بالصيغة الاستفهامية المنفية يقول؛

الم يكونوا اكسر منكم أموالا ؟

،،، وأطول منكم أحوالا ؟

فهذه التراكيب المتوازية حققت في النص انسجاما صوتيا من خلال الإيقاع المتولد من ثنايا الأعلام ، وسمي المرمل من خلاله إلى إحداث التأثير والإقناع في نفس المتلقي.

فضلا عن ذلك فالإيقاع هيأ فرصة للوقوف على تشابه الفاصلتين (أموالا ، أجالا) . حيث أخلت بحرف المد اللين (الألف) والذي يتمثل بشدة الوضوح السمعي المتأتي من أنواع العاملين بالصوت المديد و الذي يلفت انتهاء المتلقي ،

أن المستوى الصرفي أثرا كبيرا في تحقيق الإيقاع الصوتي الذي يؤدي بدوره إلى إحداث الداعم المرئي بين الدوال ، ومن ثم يعكس هذا التناغم والإيقاع دوره في ضبط دلالة الجملة .

[1] بسام طقوس،البني الإيقاعية في مجموعة محمود درويش،مجلة أبحاث اليرموك،الأردن،مج(1)،ع(1)،س1991

فصيغة التفصيل (أكثر/أطول) امتلكت مقدرة عالية على تحقيق وظيفتين للنص هما:

1- خلق مستوي إيقاعي جمالي للنص

2- الرغبة في التأكيد على المعنى ، إذ أن البناء المصرفي للكلمتين (أموالا ، أجالا) اتفق وزنها لكان (أفعالا) ، فالمرسل كان واعيا في استخدام هذه الصيغة ، فلم يقل (مال) و(أجل) فالذي يبدو أن (أفعالا) ابلغ من فعل وأقوى وذلك لأن مدة الألف ، وفتح الفم بالألف أطول من لفظ الكلمة بجدرها الثلاثي ، ومن المعلوم أن (أفعالا) ابلغ من(فعل) في الوصف[1] وأزيد معنى على رأي ابن جني الذي يرى في زيادة المباني زيادة في المعاني، لذلك التحكم في استعمال الصيغ المصرفية له اثر في بناء دلالة النص.

وتضطلع خطبة قس بن ساعدة الأيادي بمهمة إدخال مقاطع شعرية من سواق الخطية ، وهذا أمر طبيعي لان الشعر بعد ديوانه وسجل محافله ومستودع حكمته وينبوع بلاغته ، ولإدراكه العميق لدوره في استثارة المخاطب وإقناعه والتأثير فيه.

إذ ترى أن بنية النص الشعري مختومة بصوت (الراء) المتحقق بفعل الصيغ الصرفية المنتهية ب (الراء) الساكنة ، حيث انتظمت الصيغ المصرفية (بصائر ومصادر والأكابر وغابر وصائر) بإيقاعاتها المتنوعة بين صبغتي (فعائل) و (مفاعل) و (اسم الفاعل). و إلى جانب كون القافية بدنية صوتية فهي بنية نحوية صرفية دلالية ، تتوافق مع بنية الدلالة العامة للنص).

فالأبيات الشعرية باهت تغيرا إيقاعيا تصاعد حتى بلغ الذروة في القوافي المتماثلة إذ تعاضد الإيقاع الداخلي مع الإيقاع الخارجي والقوافي لإحداث هذا الانسجام الإيقاعي بعد التمهيد الذي أحدثه السمع والتوازي والتماثل النحوي والمصرفي في المقطع النثري فكأنها سنفونة بلغت ذروتها في الإيقاع الشعري واللافت للنظر إلى النص انتهى في ذروته ... إحداثا أقوي اثر ممكن في النفوس والأسماع استحضارا لوظيفة النص ومناسبة لغرض المقام ومر البشير الدين الجديد وتخويف عبده الأوثان من غضب الله ونقمته .

وفحوى القول أن التداخل على مستوى الجنس الأدبي بين الشعر والشر) يقصد به إعطاء فاعلية للنص ، فالتناقض هنا من أجل القرية الدلالية ، إلا أن دخول هذه الظاهرة في باب الموسيقية الشعرية يتم على مستوى مسمعي

[1] صالح لسامراني ، ينظر : معاني الأدبية في العربية :28

إذ أن الكسر الذي يحدثه الشعر في النص يشد انتباه المتلقي ، ويكسر لديه إلى الانتظار الخاص بالجنس الأدبي الذي تكون لديه نتيجة الممارسة السمعية النص إن ورود الشعر في النص النثري يخدم البنية الدلالية للخطبة في الوقت الذي يكسر فيه أفق الأنظار لدى السامع،

المستوى التركيبي :

استهلت بنية هذا الخطاب كما هو وأمتع بالصيغة الندانية المتعلقة بالخطاب الأمري الصادر من المرسل) والذي قصده حمل (المرسل إليه على الأخذ به على وجه الإلزام ، يقول : أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، انظروا ، واذكروا).

فقد استهل المرسل هذا المقام متحدثا إلى الناس ، داعيا إياهم إلى الاتعاظ والأخذ بسل العقل والتأمل .

بيد أن استهلال الخطاب بالصيغة الطلبية الأسرية جاءت مؤسسة ووفق الترتيب المنطقي حيث أمرهم أولا بالسماع ثم بالأنبياء والاعتبار وأخيرا بالذكر.

ومن خلال هذه المتتالية المتماثلة دلاليا ، وانتقل المرسل إلى عرض موضوعه وفق التسلسل المنطقي، يندنا بالصيغة الشرطية المؤسسة من أداة الشرط (س) ولعل الشرط وجوابه ، يقول (من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت) ، بالإجراء الأسلوبي الذي يمكن رصده في مقدمة هذا الخطاب هو تكسر الأنساق والانتقال من الأسلوب الأمري إلى الصيغة الشرطية . ولهذا الأسلوب دلالة تكمن في ضرب الأمثال بالمشاهد المحسة ، فلكل إنسان مصيره النهائي وهو الموت ، وكل ما هو مقدر من الله تعالى سوف يأتي .

فالقراءة الأسلوبية البنيوية تحيلنا إلى دلالة التركية التفتي وتقديم المسند إليه على السند والإضمار الحاصل في الجمل الثلاثة المذكورة .

إن تقديم المسند إليه ضمير الشأن (هو) على التوكيد اللفظي للمسند (آت آت أقاد تخصيص المسند إليه بالخير الفعلي ، أي قصر الخبر الفعلي عليه ، وهو أن كل شيء موعود به الإنسان من الله تعالى سيأتي ، فحرص المرسل على وصول المضي كاملا إلى ذهن المتلقي عدد إلى أسلوب توكيد الخبر وإثباته فإذا قسم السند إليه على الخبر الفعلي ، كان الفعل ثابتا و واقعا [1].

[1] عبد العزيز عرفة ، من بلاغة النظم العربي : 178/1

فعلى الرغم من الاختلاف الحاصل في البنية التركيبية لهذه الجمل ، إلا أن دلالتها واحدة تردد الفكرة الموحدة التي تشير إلى أن الموت أزلي ، كما أن كل شيء في هذه الحياة له عصيره اليوم . وتعد هذه الجمل أشكالا مختلفة لهذا المعنى المتكررة

ثم ينتقل المرسل إلى عرض أفكاره بأسلوب التقرير المباشر بعبارات شديدة الوقع بعيدة الصدى في النفوس ، يقول : الليل داج . نهار ساج ، سماء ذات أبراج ، إلا أن السلع العظات السير في الفلوات ، والنظر إلى محل الأموات)

فالنواة الدلالية في هذه المتتالية تحسن في التوازي التركيبي الذي شمل على النص المتوازية من خلال الانعطافة الأسلوبية بين الجمل على صيد البنية السطحية ، أما الوصل القائم بين جمل المتتالية على مستوى البنية العميقة تتجسد من خلال الدعوة إلى التأمل بطبيعة الحياة ولليوم الآخر . ثم تنكير المتلقي بالموت واليوم الآخر ، إذ يدعوهم و يحطهم على السير في الفلوات ، والنظر في القبور ، ليعتروا بها ويدركوا ما سوف يؤول إليه مصيرهم ، ويقترن ذكر الموت واليوم الآخر لأن يسترجع المرء حياته ويستنكر أصوله وأفعاله ، ويعي خطورة ما يقدم عليه ، إذ لم يكن له وجه من الحق .

وتميزت الجملتان (ليل داج ، ونهار ساج) بخصوصية أسلوبية ومضمونيه من خلال تنكر السند إليه (ليل ، نهار) فالمقام يمنع من التعريف ، لأن القصد من الليل تعظيم شأنه بسكونه وهدوئه ، أما النهار فيمثل الصورة المقابلة بحركته وضيائه ، فتكرهما إذن للدلالة على التعليم والتعجب .

وفي النص ثمة تراكمات وصليه متنوعة ، ومنها تراكمية البني الاستفهامية ، إذ حظيت هذه المني بنسبة توارد عالية فكانت الأكثر شيوعا في هذا النص ، لكونها بنية تميزت بفعالية أسلوبية ومضمونيه ، فقد شكلت موضوعا قائما بذاته لما فيها من خصوصية تركيبية برزت التراكم بتوالي الأدوات الاستفهامية ولاسيما الأداتان (أين) و(الهمزة) ، فقد ورثت الأداة (أين) الاستفهامية (خمس مرات)، في حين وردت الأداة (الهمزة) (مرين) فضلا عن ورود الأداة (ما) الاستفهامية مرة واحدة في النص ، إذ أضفت هذه التراكمية الاستفهامية دلالة استقرارية في بنية التشكيل اللساني إذ إن تكرار الأداء الاستفهامية نفسها لجمل متتابعة يجعل بدء الجمل ذا صيغة اتفاقية

ويضعف حالة الترقب نظرا لإشباع السياق النعي الجمل الاستفهامية ، غير أن هذه البنية التالية تلقي بداخلها المغايرة)[1].

فهذه الصيغ الاستفهامية التي طغت على النص تعبر عن مدلول واحد وهو الحيرة التي صدرت من المرسل من خلال نظرته في أمر الوجود ، فقد وظف حينا إما الاستفهامية): أما لي أرى الناس يذهبون لا يرحمون ؟) ، وحيدا أخر أعتمد همزة الاستفهام: (ارضوا بالمقام ؟) . و (الم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأطول منكم آجالا ؟) ، وقد يلحقها بأم العمالة (ارضوا أم تركوا) إلا أنه أسرف في توظيف أين الاستفهامية ، وهي أعمق أدواته وأمانه دلالة على الحيرة واللمس ، أين الإباء ؟ و أين المريض ؟ أين الفراعنة ؟ أين من بني وشيد ، أين من طغى وبغى؟)

فالأثر الأسلوبي الذي نرصده في تراكمية الجمل الاستفهامية هو الانعطافة الأسلوبية من خلال احتشاد حروف العطف (الواو ، والفاء) ، وميزة العطف في هذه البني الاستفهامية انه علف جملا على جمل فضلا عن واشجه مع عطف على صعيد المفردات كما يأتى :

(يذهبون فلا يرجعون) ، (الآباء والأجداد) ، (المريض والعواد) ، (بني رشيد) . (زخرف ونجد) ، (حلقي وبقي) ، (جمع فأوعي)

ويخلق تراكم الاستفهام بأداة موحدة هي (الهمزة) نسقين متماثلين في سياق اللص يعضدهما تكرار الفعل المالي (رضوا) . (تركوا) فضلا عن فصائل الفلين بالضمير (الواو) الذي يقيد لعملاق الجمع المذكر السالم .

كما يكسب تراكم الجمل الاستفهامية بعدا دلاليا أصدق من السابق عندما يغدو محشودا في استعمال جمل) ، إلا أن مجيء هذا التراكم والتكرار بالأداة الاستفهامية (أن) في الم لا يخلق قيمة أسلوبية – بحد ذاته - وإنما تكمن فاعلية هذا التركيب في مليفته الإيحائية .

إذ أن البني الاستفهامية للأداة (أين) تتجه إلى المكان ، فالمرسل يستقيهم عن غيابهم بقرينة الأسماء الظاهرة (الآباء والأجداد ، المريض ، العواد ، العراة)

كما تتجه الأداة (أين) في الجمل المستحقة بالمسابقة ليستقيم بها عن مصيرهم بقرينة الفعل الماضي اهلى، شيد و زخرف ، تجد أغره ، مطفي ، بني ، جمع ، أوتي) .

[1] ارشد علي محمد، أسلوبية البناء الشعري: دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي، 95.

كما أضفت الجملتان الاستفهاميتان المنافيتان الم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأطول منكم أجالا ؟) دلالة استقراري في بنية التشكيل اللساني.

وهكذا نجد أن النص وأخر يتراكم الاستفهام و أدوات مختلفة ، إلا أن هذا التشكيل المتكرر لم يأت اعتباطا ، بلي له مصنوعة الأسلوبي الدولي ، وتلك لإيثار النموذج السلف السابق ليدركوا وليعتبروا به فقد تولى من قبلهم ولم يعودوا ، تولي الإباء والأجداد و من كان منهم قويا باطشا ، ومن كان متهالكا معينا ، الذين الثروات واستوي وزخرفوا القصور ، وتعوا بالأنات الفاخرة ومن اغتر بما كان عنده أولاد وما اقتنى من مال ، فضلا عن استند وظلم ، حتى قبل إليه اله رب بيد ، لقد أجهز عليهم الموت وارتحلوا)[1].

وصفوة القول أن الجمل في هذا الأم نوعان متعاقبان ، النوع الأول حمل تقريرية أممية وفعلية (مخير عنها بأفعال ماضية) ، وجمل استفهامية تقيد التكرار إذ تجيء تعقيبا على الجمل الأولى ، ولذلك تحذف بعض أجزائها ليركز الاهتمام على موضوع السؤال ، أو بعبارة أخرى و البحث عن حقيقة الحياة ، وهذا التساؤل لا يحل التناقض الوجداني الذي أو ما إليه ، ولكنه يسعده إلى أفق فكر موضوعي حتى يصل إلى نهاية الخطاب الذي يحيل التناول كله إلى جمل تقريرية مباشرة ويعرض الأفكار نون تساؤل أو تعجب أو أية صيغة من صيغ الإنشاء.

وحين نتأمل في هذه الأبيات الشعرية نجد أن المرسل قد أخنث منبها أسلوبيا قائما علي التداخل بين (النثر والشعر) على مستوى الجنس أدبي ، هذا العملية الأسلوبي لم يأت بشكل علوي والعا له مسوغه الدلالي لشد التاء المتلقي ، وليخلق في ذهنه تحضيرا كبيرا واستجابة اقوي للتذكير ، بالنموذج السلف المسابق ، وليكون متعظا بعطله ، وموقفا إله سيمضي مضي ذويه وأهله الأولين.

وهكذا تبدو الصيغة الشعرية وسيلة لإحداث المفاجأة للمتلقي ، بوجود المنبه الأسلوبي لمخالفتها للسياق النصي ، وهذه هي فكرة (السياق الأسلوبي) عند ريفاتير وهو نموذج الثائي مقطوع بواسطة

[1] إيليا حاوي ، فن الخطابة وتطوره عند العرب : 55.

عنصر غير متوقع ")[1] ، وهذه الصيغة أعطت غرضا دلالها للص لما لها من دور ايجابي في خدمة دلالة النص الكلية.

المستوى البلاغي والدلالي :

يسعى المستوى البلاغي والدولي إلى البحث عن الدلالة الكامنة وراء النص ، بوصفه العنصر الرئيس من عناصر العملية الاتصالية ، فالنص تحكمه طاقة دلالية جامعة لكل مكوناته اللغوية منها والأساليب البلاغية والإيقاعية وغيرها من المكونات النفسية بحيث يبدو ل عنصر من المكونات منسجم مع العنصر الأخر بفعل هذه الطاقة).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة الأشكال البلاغية بوصفها عناصر مهمة وأساسية بفعل تواشجها مع دول الغربية مختلفة داخل النص لتنتج نحا متكاملا متماسكا و يفضل كل الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواسعة التي تحكمها جملة من المبادئ و منها الانسجام والتماسك والإخبارية توفر جميعها مضمونا مقيدا للرسالة

فعند التأمل في النص يلاحظ بان تجربته جديدة في لغتها واختيار كلماتها وفي طبيعة تركيبها الغوي ، وهذا يدل على عمله في رؤية الأشياء.

فالاختيار في التصوير التعبير عن مشاعره وأحاسيسه نابع من البيئة العربية ، فالألفاظ (من عاش ، مات و الليل و النهار ، السماء والأرض و الآباء والأجداد) هي مفردات وظفها المرسل للإفصاح عما يجول في داخله.

وأولي الصور البلاغية المشكلة في اللص ، هي صورة المقابلة بين (الحياة/ الموت) بقوله (من عاش مات ،من فات مات) وألا عمد المرسل إلى مقابلة الحياة الدنيا بالموت ، وهما صورتان مستمدتان من طبيعة الحياة العربية وكل حياة ، فتعبيره عن معانيه تشكل وفق أسلوب الترتيبية المنطقي (لاستدراجي) ، حيث قابل الليلة الأولى (عاش) باللفظة المقابلة (مات).

فالتذكير بالموت في هذا المقام له دلالة لتلبية المقابل إلى التفكر والاتعاظ ، وأخذ الأمور بعين الاعتبار، كما أن حرس المرمل في الخطاب الوعظي على الإكثار من توظيف ألفاظ الحياة والموت واليوم

[1] ميكائيل ريفاتير ، معايير تحليل أسلوب :56

الأخر .. الخ) هي دعوة لإيقاظ النفوس لمراجعة ذاتها ، والعزوف عن ارتكاب المعاصي.

ويمكن عند هذه الألفاظ حجة يستند إليها المرمل لإصلاح أمر يراه محلا بالمجتمع العربي والحياة العربية آنذاك . وليس هذا فحسب ، بل تكمن قدرة المرسل على الأتان بالصور الحسية التي نجد من خلالها إشارة إلى ملامح نصية ، ذلك أن اختيار (الليل ، والنهار والسماء) قد يوحي بشيء من التفكير العميق والتأمل بالحياة.

وإذا عدنا إلى هذه الصور نلاحظ أنها موزعة على جزيئات متكاملة في تتابعها، يقول (ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج) ، فالليل بما فيه من سكون وظلام و لبست ظلمته كي شيء يحل أي صورة النهار الذي يمثل الصورة المقابلة (لليل) الشتلة بالحركة والمياه ومن خلال حلينه من الليل والنهار يتحدث عن السماء ويحقها بأنها ذات بروج وقصور مشيدة.

وباجتماع الصور النحت هذه الظهر المرسل الشكل والحركة الخفية بفعل أداة الربط. ويكمن جمال السور المصرية (الليل والنهار) باجتماع جزئياتها معا في كل من طرفها ، لتقريب الجانب المعنوي إلى فهم المتلقي ، وبهذا يمكننا القول أن تكوين الصور البصرية تفوق فيما يبدو السورة السمعية والحسية التي يقل الاحتفاظ بها ، ومن ثم يضعف تأثيرها).[1]

وعلى أية حال يمكن أن تمتلك الصور البلاغية في النص قدرة عالية على التأثير والاستجابة من الطرف الثاني للمتلقي ، فالصورة البلاغية لا تقف قبالة الأشياء المائية لتصويرها ولما تتعدى ذلك التصوير إلى إيجاد حالة شعورية ولحظة الفعالية التحول الكلمات إلى استشعار داخلى بواسطة اللغة ، وهذا ما لا يفعله أداء الفكرة أداء حقيقيا مباشرا.

وتكمن جمالية النص بالغوص تحت سطح التراكيب لاستكمال الدلالة المخفية والمادة اللمس ، إلا أن القراءة الأولى لم نقف عند حدود الدلالة الملحية ، وعند حدود اختيارات المرسل المعجمية ، أما القراءة الثانية ، في القراءة البنيوية التي تكشف فيها الدلالة العميقة عندما تفسد الدوال شيئا آخر

[1] صلاح الفضل، بلاغة الخطاب و علم النص :34

غير ما يقوله النص[1]. فتوحي بذلك بؤرة النص بفكرة التعبير عن حيرة المرسل وعن حالته النفسية والشعورية ، فقد وجد في صورة التضاد بين (الليل والنهار) معادلا موضوعيا للإفساح عن مشاعره وأفكاره المتولدة من فكرة الصراع بين (لحياة والموت) من جهة وتراكمية الاستفهامات التي لا يستقيم بها المرسل عن منه الحياة ومصير الكون ولكنه يسأل المقابل عل مصيرهم الشخصي في الدار الآخرة.

فالنص يلمس من النفس الإنسانية أعمق أحاسيسها ويشير في القلب مشاعر الهلع والخوف من سوء المصير والميل إلى التأمل والتفكير العميق ، وذلك باعتمادها عنصر التناقض القوي بين الحياة والموت والنور والظلمة وغير ذلك، أي أن عقلية قس كانت عقلية تكاملية تستوفي الأشياء جميعها بإحضار الشيء ونقيصة لكي تكتمل الصورة أمام أبصار السامعين أو القارئين[2].

كما يغلب على النص الومضات التعجبية ، والتكيف والاقتصاد اللفظي الذي يخلق ترقبها دون أن يراعي شحنة السؤال التي يجد المتلقي نفسه يفكر فيها ، فهو يجد دلالات متابعة تحيله إلى الظواهر الطبيعية ، ومنها أمارات دالة على الغناء والهلاك ، ومع كل هذا قد يفهم من ذلك على أنه امتياز أسلوبي ، قوامه التراصف اللفظي ، أما محتوى التعبير فهو يستعين بالمثل والظواهر الكونية وسؤال المصير والأهم من تلك الإشارات التنبؤية و فهو يطاق المنحى العام الخطاب القرآني)[3].

وهذا ما جعل الرسول صلى الله عليه و سلم الخطبة الاتصال نسيجها الداخلي بالروح الديني والوعظي ذي النكهة التوعيدية الترهيبية التي تجد أخصب تجلياتها في القرآن والحديث.

---

[1] محمد مفتاح ، ينظر :تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية الناص :12.

[2] دراسات في الأدب الجاهلي : 132/1

[3] عبد الله إبراهيم ، ينظر : التلقي و السياقات الثقافية في تأويل الظاهرة الأدبية : 128

الخاتمة

الخاتمة :

بعد دراستنا لهذا الموضوع يمكننا التوصل إلى النتائج التالية نذكر أهمها دله النثر معناه اللغوي على الشيء المتفرق الذي يرمي به في غير انتظام أما معناه الاصطلاحي فقد تعددت تسميته بين المنظور والكلام والكتابة وهذا ما يؤكد مدلول كلمة النثر وتنوعه.

ونرى إن النسر في العصر الجاهلي يتمتع بكثرة الحكم والأمثال وبالأخص التي تعبر عن الحياة والجاهلين ولذلك جاءت وصاياهم وخطبهم تعبر عن بساطة الحياة عن بعد والصياغة وتكلف وصف وتعبير وقصر الجمل وجمال الصياغة المستخدمة في النثر ولقد كثر النسر عن الشعر في العصر الجاهلي وفيما يخص الدراسة الأسلوبية البنيوية فهي تسعى إلى دراسة الهيكل البنائي للنص وتحليل أنساقه التي تكشف عن تنظيمه وفقا لمستويات الأربعة الصوتي التركيبي والبلاغي والدلال إذ كل واحد منها

وحداتها والتعانقاتها الخاصة التي لا يمكنها بمفردها أن تنتج المعنى إلا واندماجها في مستوى أعلى الوحدة الصوتية لا تصبح طرفا لاندماجها في الكلمة عليها أن تندمج في الجملة وصولا إلى وحدة النص الكلية بوصفها بؤرة لاستجماع الوحدات الصغرى للنص ومن هنا آثارنا دراسة خطبة قس بن ساعده الإيادي دراسة أسلوبية بنيوية وقد ركز المستوى الصوتي على دراسة الأصوات وتكرارها والتوازنات الصوتية والجلسات أما في دراسة المستوى التركيبي فقد انصب الاهتمام على دراسة الأساليب الإنشائية والخبرية وأدوات الربط التي لها دور فعال في إنتاج المعنى أما في المستوى البلاغي فقط أولينا الاهتمام بالصورة التقابلية وما أحدثته في السياق النصي من أبعاد دلالية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور لسان العرب الطبعة الأولى سنه1424 دار الفكر لبنان
2-إسماعيل علي محمد فن الخطابة ومهارات الخطيب الطبعة الخامسه1438ه 2016م دار النشر القاهرة مصر
3-احمد محمد فن الخطابة
4-محمود رزق الأدب العربي وتاريخه دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ط (1) 2010
5-طه حسين في الأدب الجاهلي دار المعارف مصر سنة 1975
6-الجاحظ البيان والتبيين الطبعة الأولى ص 173 1926
7-سعد بوفلاقة دراسات في الأدب الجاهلي النشأة والتطور والفنون والخصائص منشورات جامعة باجي مختار (د. ط) عنابة 2006
8- شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي دار المعارف ط 10(د. ن)
9-محمد سعيد ربيع ألغامدي مجمع الأمثال الطبعة الأولى
10-شوقي ضيف الأمثال في العصر الجاهلي
11-محمد سليم اخطر التميمي الأمثال العربية الطبعة الثانية
12-شوقي ضيف الأمثال في العصر الجاهلي الطبعة الأولى
13-محمد توفيق أبو علي الأمثال العربية والعصر الجاهلي
14-موسى ط 7 عصر الدول والإمارات دار المعارف مصر 1980
15-مالك محمد جمال بن عطال السجع في العصر الجاهلي دار جليس الزمان عمان ط 1 2013
16-شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي الطبعة الثاني عشر
17-عبد الله الطيب المرشد إلى فهم إشعار العرب وصناعتها
18-فايز القرعان التكوين التكرار في شعر جميل بن معمر مجلة البحوث والدراسات الأردن مج (11) ر ع 1 لسنة 1991
19-فاضل صالح السامرائي معاني الأدبية في العربية عبد الهادي زاهر بنية القصيدة
20-حسن ألغرفي البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد
حاتم صالح الضامن فقه اللغة
21-قاسم البرسيم منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري

الفهرس

فهرس محتويات :

فهرس المحتويات	الصفحة
الإهداء	
الشكر	
مقدمة	
المدخل	01–08
الفصل الأول: أنواع النثر في الأدب الجاهلي / أجناس	
المبحث الأول:الخطابة.....	ص15
المبحث الثاني: الحكم.....	ص21
المبحث الثالث: الأمثال.....	ص22
المبحث الرابع: الوصايا	ص22
المبحث الخامس: سجع الكهان	ص33
المبحث السادس: الصور النثر الجاهلي.....	
الفصل الثاني :مستويات التحليل اللساني لخطية السوق عكاظ لقس بن ساعدة الإيادي .	
المبحث الأول: الخطبة الوعظية	ص23
المبحث الثاني :خطبة قس بن ساعدة الإيادي	ص24
المبحث الثالث: المستوى الصوتي	ص25
المبحث الرابع: المستوى التركيبي	ص30
الخاتمة.....	ص38
قائمة المصادر و المراجع.....	ص40
فهرس المحتويات.....	ص42
الملخص.....	ص43

الملخص :

بالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذا كان الناس يحفظونها ويتناقلون ها عن طريق الرواية الشفاهة مثل: الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذل موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فإن الدراسيين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع منها: الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، الوصايا النثر المسجوع أي سجع الكهان .

وبالتالي تعرف الخطابة هي مخاطبة الجماهير بغيه الإقناع والإمتاع بكلام بليغ وجيز والأمثال فهي أصدق دليل عن الأمة وتفكيرها، وعاداتها وتقاليدها ويصور المجتمع وحياته وشعوره الحكم هو قول موجز مشهور صائب الفكر رائع التعبير .

سجع الكهان وهذا نوع من أنواع النثر الجاهلي أولاه المستشرقون من العناية أكثر مما يستحق وبعضهم كان يغمز من طرف خفي إلى الفواصل في آيات القرآن الكريم كأنه يريد الطعن في إعجازه

وقدمنا تحليلا مبسطا للخطبة قس بن ساعدة الإيادي خطبة سوق عكاظ حللنا مستوياتها مستواها الصوتي والتركيبي.

الكلمات المفتاحية :

كتاب- نصوص النثر الجاهلي- الشعر- الرواية- الخطابة

Summary :

Although there is no record or written book containing pre-Islamic prose texts dating back to that period of ancient time, if people preserved them and transmitted them through oral narration such as: poetry, and this may be the reason for their saying, as well as the position of Islam on some of them, and despite the fact that Therefore, the scholars investigating this Arab literary heritage mentioned the types of literary prose in that period, especially some of them

Rhetoric, stories, proverbs, judgment, commandments, the prose rhyming, i.e. the rhyme of the soothsayers.

Thus, rhetoric is defined as addressing the masses with the aim of persuasion and enjoyment with eloquent and short words. Proverbs are the truest evidence of the nation, its thinking, its customs and traditions, and depicts the society, its life and its feeling.

The soothsayers' rhyme, and this is a type of pre-Islamic prose that orientalists gave more attention than it deserves, and some of them were winking from a hidden side to the commas in the verses of the Holy Qur'an as if they wanted to challenge its miraculousness

We presented a simplified analysis of the sermon Qas bin Saeda Al-Ayadi, the sermon of Souk Okaz, and we analyzed its levels, its vocal and compositional level.

key words :

Book - pre-Islamic prose texts - poetry - novel - rhetoric